دِرَاسَات عَرَبِيَّة وَإِسْلامِيَّة
دورية علمية محكمة

دراسات عربية وإسلامية العدد السادس (٦) يناير ٢٠١٢م

حوار المخالفين في العقيدة
أصوله ومقاصده عند أهل السنة والجماعة

دكتور

صالح بن غرم الله بن حسن الغامدي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية المعلمين – جامعة الملك سعود

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فإن الحوار مع المخالفين للدين الحق والمعتقد الحق ـــــ من أتباع الملل والمذاهب المنحرفة على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ـــــ لدعوتهم للحق وبيان ما هم عليه من باطل ورد عدوانهم على الحق وأهله يعد نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله ، فإن الجهاد بالقلم واللسان صنو الجهاد بالسيف والسنان [1]، ذلك أن الحوار مع المخالفين للحق إذا تم وفق أصول أهل الحق وروعيت فيه مقاصد الشرع يحصل به ـــــ بإذن الله ـــــ بيان المعتقد الحق ورد مقالات أهل الباطل وكشف الشبه والأباطيل التي يتعلقون بها ، وإظهار فسادها وفساد ما بنوا عليها من مذاهب ومواقف وأحكام ، كما إن فيه سبيلا لإقناع من التبس عليه الحق من أهل الضلال للقبول بمذهب الحق الوارد في كتاب الله الكريم ، وسنة نبيه الأمين فإن لم يتيسر ذلك ؛ فلا أقل من تخفيف شرهم وكف أذاهم عن أهل الحق . والمؤكد أنه كلما جد أهل الحق في هذا السبيل ، ضعف الباطل واستبان للناس فساده ، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة ظهرت الأهواء ومقالات أهل الضلال وقويت شوكتهم .[2]

أهمية هذا الموضوع :

ولما كان الحوار مع المخالفين ـــــ في هذا المجال أعني المجال العقدي ـــــ بهذه الأهمية فإن من يتصدى له لابد أن تكون لديه الأهلية والقوة من الناحيتين العلمية والسلوكية ،كما أن من أهم المسائل وأدقها وأولاها في

---

[1] في الحديث يقول عليه الصلاة والسلام : " جاهدوا المشركين بأنفسكم وأموالكم وألسنتكم " أخرجه أحمد في مسنده (٢٥١/٣) وأبو داود في سننه . كتاب الجهاد / باب كراهية ترك الغزو (١٠/٣) قال الألباني : صحيح . انظر : صحيح سنن أبي داود (٢ / ٤٧٤) .

[2] انظر : ابن تيمية . أحمد بن عبد الحليم ٧٢٨ . **مجموع الفتاوى** . جمع:عبد الرحمن القاسم وولده محمد ، طبعة الملك فهد (٣/ ١٠٤).و ابن القيم . شمس الدين أبي عبد الله .٧٥١ه. **الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة** . دار العاصمة (٣ / ١٠٤٨).

الاعتبار بمشروعية هذا الحوار ونجاحه،هي فقه (أصوله) عند أهل السنة والجماعة وتحقيقه لـ (مقاصده) الشرعية وقد أكد على هذا الأمر علماء الأمة وأئمتها المهديين لاسيما عند إرادة مجادلة المخادعين والمبطلين من أهل الزيغ والضلال فأكدوا على أن من يتقدم لمقارعتهم من أهل الحق ـــــــ فوق ما ينبغي أن يكون عليه من قوة الحجة ووضوح المحجة ـــــــ لابد أن يتسلح بالفقه العميق لأصول مذهب أهل الحق ومبادئه وقواعده بحيث يعرف خير الخيرين فيطلبه ،وشر الشرين فيرفضه وأن يكون إلى جانب معرفته بتفاصيل الحق الذي معه عالما بخفايا الباطل الذي يواجهه حتى لا يكون ضعف حجته ومنطقه وجهله وقلة حماسته للحق سببا في إضعاف الحق ورده[3] ، فلا ينبغي أن يدخل في هذا المجال إلا من هو أهل له الذي يكون في دخوله نصرة للحق وإعلاء لشأنه وقطعا للباطل ورد شنئانه .

ومن هنا تبرز أهمية فقه الحوار مع المخالفين للحق ، والحاجة إلى استظهار أهدافه وأصوله وقواعده عند أهل الحق ، وإدراك غاياته ومقاصده عندهم .

والمتأمل في واقع العالم اليوم يجد أن قضية الحوار مع المخالفين للعقيدة الإسلامية الصحيحة من أتباع المذاهب، والديانات، والثقافات المختلفة ،تعد من القضايا التي تحتل مساحة كبيرة من اهتمام العلماء والمفكرين على اختلاف انتماءاتهم ، كما إنها تعد من الموضوعات الدقيقة والشائكة التي كثر فيها النقاش، وتعددت حولها الآراء، وتباينت في جزئياتها وتفاصيلها وجهات النظر ما بين مؤيد بلا حدود وضوابط ، ورافض ضعيف متكاسل يواري ضعفه بالرفض واكتفى من الغنيمة بالإياب ، وبين هؤلاء وأولئك فريق آخر تعامل مع المسألة بعلم وفهم وموضوعية ،آخذاً في اعتباره الأبعاد الإيجابية ،والجوانب السلبية لما يحجم أو يقدم عليه من هذا الحوار أو المناظرة مراعيا

[3] انظر : القفاري . د . ناصر بن عبد الله . **مقدمة في الملل والنحل** . مدار الوطن ، ١٤٢٧ هـ (٤٧ ـ ٤٨) .

في مواقفه وأحكامه ضوابط وأصول أهل الحق ، ومقتضيات المصلحة المعتبرة شرعا .

أسباب اختياري لهذا الموضوع :

وانطلاقا من هذا الموقف الأخير جاء هذا البحث الذي سوف يتم التركيز فيه _ بمشيئة الله_على الجانب الأهم من جوانب هذا الموضوع الخطير ، وهو جانب مقاصد الحوار مع المخالفين للعقيدة وأصوله وأهدافه وغاياته عند أهل السنة والجماعة ؛ فإن هذا الجانب لابد أن يكون حاضرا بوضوح وأن تكون له الأولوية من اهتمام المحاور المسلم ،المنتمي لأهل الحق في كل زمان ومكان، وأن يجعل منه معيارا يقيس عليه في إقدامه على الحوار ،أو إحجامه عنه إذا رأى أنه لا يراعي الأصول المتبوعة ويحقق الأهداف والمقاصد المشروعة . ولا شك أن لفقه أصول الحوار ـــــ في هذا الجانب ـــــــ ومعرفة ضوابطه ومقاصده وغاياته وأهدافه أهمية كبرى ، لأن تحقق هذه الأصول والمقاصد هي التي تضبط مسار الحوار وتضفي عليه المشروعية ، وتوجهه نحو الوصول إلى الهدف المنشود الذي يقوم على أساس الدعوة إلى الحق والرحمة بالخلق .

ومما ينبغي التنبه إليه _ في هذا الجانب _ أن مقاصد الحوا ر مع المخالفين للحق تتعدد وتتنوع في أشكالها ووسائلها وترتيب أهميتها ، فالمحاورة مع المخالف للحق يقصد بها إما تصحيح مفهوم، أو إظهار حجة، أو إثبات حق، أو دفع شبهة، أو رد باطل، هذه هي أبرز مقاصد الحوار، ولكن ليس بالضرورة أن تتحقق كل تلك المقاصد في كل حوار، فإن مما يدخل في مقاصد الحوار التهيئة والتمهيد له . والحوار الناجح الصحيح تعاونٌ بين المتحاورين من أجل معرفة الحقيقة والتوصل إليها، هذه هي الغاية

الأصلية؛وهناك غايات تمهيدية تخدم هذا الحوار وتسهم في إنجاحه.[4] ، والمهم في هذا وذاك أن يكون الحوار موافقا لأصول أهل الحق ، ومحققا لمقاصد الشرع.

ومن هذا المنطلق فإن من أعظم ما يحقق المقاصد الشرعية للحوار مع المخالفين للحق ويجعله موافقا لأصول أهل الحق أن يكون المحاور المسلم مستحضرا أنه يدعو إلى الدين الحق ،والمعتقد الحق ،الذي ارتضاه الله لعباده متمثلا لمبادئه التي تؤكد على أن يكون عالما بالحق رحيما بالخلق ،صادقا في قيله ،أمينا في نقله، عادلا في حكمه ، وأن يكون على يقين وقناعة بالحق الذي يحمله ويمثله بحيث يظهر أثره جليا في خطابه ،ومقاله وحماسته لما يدعو إليه ،أو ينافح عنه ، واعتزازه به ، وأنه بقدر ما تتوفر له هذه المقومات مع التسلح بالعلم الصحيح المؤصل ،والعدل والإنصاف مع القريب والبعيد فإن خطابه سيكون أوقع وحجته أبلغ ، ولا ينبغي أن يتوهم متوهم أن بروز هذه المعاني لدى المحاور المسلم المتمسك بمعتقد أهل الحق يتعارض مع ما يؤكد عليه في باب أصول الحوار وآدابه من ضرورة الحرص على هداية المخالف ،والرفق به والتنزل معه في الخطاب ،والبدء بالمشتركات ونقاط الاتفاق مع مذهبه ، فإن هذا لا يعني بحال تمييع الحق وتذويب الحواجز الفاصلة بين الإيمان والكفر أو الحق والباطل ـــــ كما يقع فيه كثير ممن يزعم أنه يمثل الإسلام ومنهج أهل الحق ـــــ بل يعني تقريب المخالف إلى الحق بالوسائل المشروعة من الحكمة ،والموعظة الحسنة ،والمجادلة بالتي هي أحسن، كما نصت عليه نصوص الكتاب والسنة ومضى عليه سلف الأمة .

---

[4] - انظر : د.صالح بن عبد الله بن حميد . **أصول الحوار وآدابه** في الإسلام . من مطبوعات دار المنارة ، جده (٧) .

خطة البحث :

هذا وقد قمت بترتيب فصول هذا البحث ومباحثه على النحو الأتي :

- المقدمة وفيها : أهمية الموضوع ، ودواعي الكتابة فيه .
- التمهيد وفيه : الخلاف الواقع بين الخلق . حقيقته ، ومذهب أهل الحق في التعامل معه .
- الفصل الأول : تعريف المصطلحات الآتية : (الحوار، المخالفين . الأصول ، المقاصد ، أهل السنة والجماعة)
- الفصل الثاني : مشروعية الحوار مع المخالفين .
- الفصل الثالث : أهمية الحوار مع المخالفين .
- الفصل الرابع : أنواع الحوار مع المخالفين .
- الفصل الخامس : أصول الحوار مع المخالفين للحق .
- الفصل السادس : مقاصد الحوار مع المخالفين للحق .
- الخاتمة : ذكرت فيها أبرز نتائج البحث .

منهج البحث :

سلكت في هذا البحث المنهج التالي :

أولا : عرفت بما رأيت أنه بحاجة إلى تعريف من الألفاظ والمصطلحات سواء في أصل البحث أو في الهامش وجعلت إحالة الآية لسورتها تعقبها مباشرة في الأصل ، وخرجت الأحاديث وما كان منها خارج الصحيحين اجتهدت في ذكر درجتها من كلام الأئمة .

ثانياً : اكتفيت بذكر أبرز أصول أهل الحق في حوار المخالفين وجعلتها في صورة عناوين وعلقت عليها بما يوضحها من الآيات والأحاديث وأقوال سلف الأمة وأئمتها المهديين .

ثالثاً : جعلت الأصول تسبق المقاصد في الترتيب باعتبارها مقدمات ومهيئات لنجاح الحوا ر مع المخالفين إذا التزمت ، والمقاصد هي بمثابة الغايات التي تطلب من عملية الحوار وتضفي عليه المشروعية في هذا الباب .

رابعاً: المقاصد التي يعول عليها أهل الحق من وراء الحوار مع المخالفين لهم من أتباع الأديان والمذاهب المختلفة ، محددة ودقيقة وقد جعلتها أيضاً في صورة عناوين وعلقت عليها بما يبينها في مذهب أهل الحق .

هذا وأسأل الله عز وجل أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه .

التمـــهيد :

(الخلاف الواقع بين الخلق . حقيقته ، ومذهب أهل الحق في التعامل معه).

الخلاف بين الناس هو سنَّة الله في خلقه منذ خلقهم ، فهم مختلفون في ألوانهم، وألسنتهم ،وطباعهم، ومُدركاتهم ،ومعارفهم وعقولهم ، وكل ذلك آية من آيات الله ، نبَّه عليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الروم:٢٢) وهذا الاختلاف الظاهريّ المحسوس دالٌ على الاختلاف في الآراء والميول والتوجهات . وكتاب الله العزيز يقرر هذا في غير ما آية ؛ مثل قوله سبحانه :﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (هود: ١١٨ـــ ١١٩) .

يقول الفخر الرازي : " والمراد اختلاف الناس في الأديان والأخلاق والأفعال " [5].

ومما ذكره المفسرون في معنى الآية: أنه لو شاء الله جعل الناس على دين واحد بمقتضى الغريزة والفطرة .. لا رأي لهم فيه ولا اختيار .. وإذَنْ لما كانوا هذا النوع من الخلق المُسمّى البشر ؛ بل كانوا في حياتهم الاجتماعية كالنحل أو كالنمل ، ولكانوا في الرّوح كالملائكة ؛ مفطورين على اعتقاد الحقِّ والطاعة ؛ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، لا يقع بينهم اختلاف ولا تنازع . ولكنّ الله خلقهم بمقتضى حكمته كاسبين للعلم لا مُلْهَمين . عاملين بالاختيار ، وترجيح بعض المُمْكنات المتعارضات على بعض ؛ لا مجبورين ولا مضطرين . وجعلهم متفاوتين في الاستعداد وكسب العلم واختلاف الاختيار .

---

[5] فخر الدين الرازي . محمد بن عمر. ٦٠٦ ه **مفاتيح الغيب** . دار إحياء التراث العربي . (١٨ / ٤١٠)

أما قوله تعالى : { ... وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } (هود:١١٩) .فإن اللام ليست للغاية ؛ فليس المُراد أنه سبحانه خلقهم ليختلفوا ، إذ من المعلوم أنه خلقهم لعبادته وطاعته . وإنما اللام للعاقبة والصَّيْرورة ؛ أي لثمرة الاختلاف خلقهم ، وثمرته أن يكونوا فريقين : فريقاً في الجنة ، وفريقاً في السعير .وقدّ تُحْملُ على التعليل من وجه آخر ، أي خلقهم ليستعدَّ كلٌ منهم لشأنٍ وعمل ، ويختار بطبعه أمراً وصنعة ، مما يَسْتَتِبُّ به نظام العالم ويستقيم به أمر المعاش ، فالناس محامل لأمر الله ، ويتخذ بعضهم بعضاً سخرياً [6]. خلقوا مستعدين للاختلاف والتفرق في علومهم ومعارفهم، وآرائهم ومشاعرهم ، وما يتبع ذلك من إراداتهم واختيارهم في أعمالهم ، ومن ذلك الإيمان ، والطاعة والمعصية [7]. وعلى الرغم من حقيقة وجود هذا التَّبايُن بين الناس ؛ في عقولهم ومُدركاتهم وقابليتهم للاختلاف ، إلا أن الله وضع على الحقِّ معالمَ ، وجعل على الصراط المستقيم منائر .. وعليه حُمِلَ الاستثناء في الآية في قوله : { إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ } (هود:١١٩) .

وهو المنصوص عليه في الآية الأخرى في قوله : ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ (البقرة:٢١٣) . وذلك أن النفوس إذا تجرَّدت من أهوائها ، وجدَّت في تَلَمُّس الحقِّ فإنها مَهْديَّةٌ إليه ؛ بل إنّ في فطرتها ما يهديها ، وتأمَّل ذلك في قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم:٣٠) .ومنه الحديث النبوي : " ما من مولود إلا يُولدُ على الفِطْرة ، فأبواه يُهوّدانه ، ويُنَصِّرانه ، ويُمجِّسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ،

---

[6] انظر : الألوسي. محمود شكري . في تفسيره : **روح المعاني** . دار إحياء التراث العربي . (١٢ / ١٦٤) ، والقاسمي . في تفسيره : **محاسن التأويل** . دار إحياء الكتاب العربي . (٩ / ٣٤٩٨).

[7] أنظر : رضا . محمد رشيد . تفسير المنار . مطبعة المنار . (١٢/ ١٩٤) .

هل تُحسّون فيها من جَدْعاء حتى أنتم تجدعونها ؟ " [8]. ويُوضح هذا الأمر ، أن أصول الدين ، وأسس الفضائل ، وأمَّهات الرذائل ، مما يتفق العقلاء على حُسْن حسنه ومدحه، والاعتراف بعظيم نفعه ، وتقبيح سيِّئه وذمِّه . وكل ذلك جاءت به أدلة الشرع في عبارات جليَّة واضحة ، ونصوصٍ بيِّنة لا تقبل صرفاً ولا تأويلاً ولا جدلاً ولا مراءاً . وقد جعلها الشارع الحكيم أمّ الكتاب التي يدور عليها وحولها كل ما جاء فيه من أحكام ، ولم يُعذِرْ أحد في الخروج عليها ، وحَذَّر من التلاعب بها ، وتطويعها للأهواء والشهوات والشبهات بتعسف التأويلات والمُتكلفات ، أما ماعدا ذلك من الأمور الاجتهادية فقد حض الشارع على الاجتهاد فيها، وسوغ وقوع الخلاف فيها، بل جعل للمخطئ فيها أجراً وللمصيب أجرين تشجيعاً للنظر والتأمل ، وتَلَمُّس الحقّ واستجلاء المصالح الراجحة للأفراد والجماعات . ولله في ذلك الحكمة البالغة والمشيئة النافذة .[9] ولما كان الخلاف بين الناس هو مضنة وقوع الشقاق والتنازع والاقتتال فيما بينهم ،فإن مما لا شك فيه أن الحل لأكثر تلك الخلافات والقاطع لتلك المنازعات والكاشف للكثير من الأباطيل والشبهات ، هو إعمال لغة الحوار فيما بين المختلفين .ذلك أن الحوار هو أسلوب التواصل الأمثل مع الموافق والمخالف، إن الآثار السلبية المترتبة على غياب الحوار مع المخالفين لاسيما في العقيدة كثيرة وخطيرة ، من أبرزها[10]: شيوع الجهل ،وتغليب لغة الخصومة والعداوة على لغة العقل و الحكمة ، والجهل الذي يكون سببا في غياب الحوار : إما أن يكون جهلاً بمقاصد الحوار التي هي من مقاصد الشريعة ، وإما أن يكون جهلاً بأصوله ووسائله وأدواته ، أو يكون جهلاً بأدلته وموضوعاته. ومن آثار هذا الجهل

---

[8] الحديث أخرجه : مسلم في **صحيحه** . كتاب القدر. باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .. (٤ / ٢٠٤٧) المكتبة الإسلامية ، تركيا .

[9] انظر : أصول الحوار وآدابه في الإسلام : (١١) .

[10] الموصلي .فتحي بن عبدالله . **فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية** . الدار الاثرية (٢١١ ـــ٢١٢).

_ الذي أوردنا أسبابه _ (التكلم بالباطل وكتمان العلم ، ومعلوم أنه إذا اجتمع التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق تولد منهما بطر الحق وظلم الخلق).[11]

ومن آثاره ـــ أيضا ـــ إطالة أمد النزاع بين الناس، وترسيخ بواطن الأحقاد بينهم ، وتضييع جهودهم وأوقاتهم في الباطل ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، والتنافس المذموم الذي يجلب الفرقة والاختلاف ، وهذه أمراض عانت وما زالت تعاني منها أمة الإسلام إلى يومنا هذا سواء في علاقة أبناءها فيما بينهم أو في علاقتهم مع الآخرين .

إن غياب الحوار مع المخالفين ـــــ فوق ما يفوته من المصالح الدينية والدنيوية ـــــ يفتح باباً للتنازع والاقتتال ،المفضي إلى سفك الدماء وسقوط الدول والحروب بين الأمم ، بل إن المنازعات العلمية القائمة على التعصب والهوى والمهاترات الفكرية العقيمة تؤدي في الغالب إلى الفرقة والتنازع ،المفضي إلى الضعف والفشل وذهاب الريح وتسلط الأعداء المتربصين وغلبة المنافقين ، .فالحوار ـــــ إذا ـــــ حاجة ضرورية ووسيلة مثلى للاتصال مع المخالفين والموافقين ، وأسلوب مهم من أساليب تقرير الحق ورد الباطل .غير أن المتأمل في إطلاق مصطلح الحوار_ في وقتنا الحاضر _ يجد أنه أصبح يشوبه شيء من الإجمال والالتباس فمثلا مصطلح الحوار بين الأديان أصبح يستعمل في أغراض ثلاثة [12]:

١ _ (في التقريب بين الأديان وفق الأسس الفكرية والمنهجية التي يدعوا إليها أصحاب هذا الاتجاه ، وهو بهذا الاستعمال يعد غطاء لفكرة الوحدة بين الأديان وتذويب الفوارق بينها، التي ينادي بها بعض مفكري الغرب ومن تأثر بهم من بعض المفكرين المنتسبين للإسلام).[13]

---

11 الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة . (١ / ٣١٥) .

12 انظر : فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية (١٦١)

13 أحمد بن عبد الرحمن القاضي . **دعوة التقريب بين الأديان** ، دار ابن الجوزي ، ط١ ،١٤٢٢هـ . (١ / ٣٤٨)

٢_ ويستعمل في معنى التعايش بين أتباع الأديان ، ويقصد به في هذا الإطلاق أحكام التعامل مع الطرف المخالف في الدين والعقيدة فيما لهم وما عليهم ، وغالب مباحثه بهذا المفهوم هي من باب السياسة الشرعية وتنظيم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية .

٣_ ويستعمل _ أيضا _ بمعنى الجدل والمناظرة والإقناع ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام فهو وسيلة من وسائل الدعوة والإقناع .

فالأول : باطل وسيلة ومقصداً .

والثاني : محكوم بأحكام وضوابط نصت عليها الشريعة ، وتطبيقاتها في الغالب منوطة بمن له الولاية الشرعية من حكام المسلمين .

والثالث : مداره من حيث المشروعية وعدمها على مدى قيامه وفق الأصول والضوابط المرعية في مذهب أهل الحق ، وتحقيقه للمقاصد المعتبرة في الشرع .

(وبما أن الحوار صار لفظاً مجملاً ـــــ وفق هذه الاستعمالات ـــــ لذالك أصبح من المتعين على المتحاورين تحديد المراد منه قبل الخوض فيه وهذه قاعدة معلومة من قواعد الشرع ، قائمة على ضرورة الاستفسار وتعيين المراد من الألفاظ عند الإجمال ،والاشتباه حتى يتم الحكم عليها بوضوح ، وتوضع في مواضعها الصحيحة)[١٤] . و في هذا المقام يتأكد التنبيه إلى خطورة الشعارات والمصطلحات المضللة التي يروج لها أعداء الإسلام ، ويقدمونها مغلفة بأغلفة الحوار والتسامح ، كشعارات " السلام " و " العالمية "و" الأخوة الإنسانية " وما شابهها ، من الشعارات والمصطلحات المعبرة عن الأهداف ، المصادمة لثوابت الإسلام ومقاصده الأساسية ،والتي ليست في حقيقتها إلا دعاوى جوفاء تقف خلفها دوائر الماسونية [١٥]اليهودية ، ومراكز التبشير والتنصير العالمية .

---

[14] انظر : فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية : (١٦٢) .

[15] الماسونية : لفظ مشتق من كلمة (Mason)، ومعناها البناء، ويضاف إليها كلمة (free) ومعناها حر، فتكون (freemason) أي البناؤون الأحرار. وهم يرمزون بها إلى البناء الذي سيبني هيكل سليمان، والذي يمثل بزعمهم رمز سيطرة اليهود على العالم.

الفصل الأول: تعريف بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث وهي :

(الحوار، المخالفين . الأصول ، المقاصد ، أهل السنة والجماعة) .

١/أ – مفهوم الحوار في اللغة:

الحوار مأخوذ من المحاورة: وهي المراجعة في الكلام يقال: تحاور الرجلان، أو تحاور المتحدثان بمعنى واحد: أي تبادلا الحديث، فمراجعة بعضنا لبعض في الكلام يسمى حواراً، وفي لسان العرب: ".. يتحاورون أي: يتراجعون الكلام. والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة" [١٦]. قال القرطبي في قوله تعالى : ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ (الكهف : ٣٤) : " أي : يراجعه في الكلام ويجاوبه ، والمحاورة : المجاوبة ، والتحاور : التجاوب ، ويقال : كلمته فما أحار إلي جوابا ، وما رجع إلي حوارا ، أي ما رد جوابا " [١٧].

ب– الحوار في الاصطلاح:

وأما التعريف الاصطلاحي للحوار فقريب من معناه اللغوي، وقد عُرّف بأنه: مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر دون أن يكون بينهما ما يدل بالضرورة على وجود خصومة [١٨]. وعُرّف بأن الحوار: "مناقشة بين طرفين أو أطـــراف، يُقصد بها تصحيح كلام، أو إظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة،

والماسونية منظمة سرية يهودية إرهابية غامضة محكمة التنظيم، ترتدي قناعاً إنسانياً إصلاحياً، وتهدف من وراء ذلك إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وجلُّ أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم يوثقهم عهد بحفظ الأسرار، ويقومون بما يسمى بالمحافل؛ للتجمع، والتخطيط، والتكليف بالمهام. أنظر : الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة . (٤٧)

[16] ابن منظور محمد. ابن مكرم . **لسان العرب** . . دار صادر (٤/ ٢١٧ ـــ ٢١٨) .

[17] القرطبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، **تفسير القرطبي** (١٠ / ٤٠٣). الهيئة المصرية للكتاب .

[18] **انظر : في أصول الحوار** . إعداد : الندوة العالمية للشباب الإسلامي . (١٢) .

ورد الفـــاسد من القول والرأي"[١٩]. وقد عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه : تراجع الكلام بين طرفين . [٢٠]

وقيل : " الحوار :تردد الكلام بين فريقين للوصول إلى الحق " [٢١] ويتبين من هذه التعريفات أن المحاورة هي تجاذب الكلام بين المختلفين، وما أضافه العلماء في تعريفه من شروط، إنما هي ضوابط أخلاقية يفترض توفرها في الحوار ليكون مثمراً ومجدياً. وثمة مصطلحات قريبة من الحوار مثل "الجدل" و"المناظرة" و"المحاجة" و"المناقشة" و"المباحثة"، وقد تستخدم بعض هذه المصطلحات مكان الحوار، أو في معناه الاصطلاحي وقد ورد لفظ الجدل في القرآن الكريم ،والسنة النبوية الشريفة .وهو قد يكون محموداً ،وقد يكون مذموماً والمحمود فيه مرادف للحوار أو قريب منه ،ومن ذلك قـــوله عز وجل: {وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (النحل : ١٦) وأيضاً قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (المجادلة : ١)، وقد فُسرت المجادلة بالمراجعة وهي المحاورة، وبهذا المعنى الجدال صورة من صور الحوار وقد أمر بها الله ورسوله . والمناظرة أيضاً صورة من صور الحوار وهي تفيد النظر والتفكر والبحث عن الحق عبر المحادثة وتبادل الرأي مع الآخرين .

٢/ **تعريف المخالفين** : المخالفون جمع مخالف ، والمخالف في اللغة :مأخوذ من الخلاف والمخالفة بمعنى المضادة التي هي ضد الاتفاق والموافقة ، قال

---

[19] أصول الحوار وآدابه في الإسلام (٦) .

[20] ابن تيمية . أحمد بن عبد الحليم .٧٢٨ه. **الرد على المنطقيين** . (٣٢٨) . دار المعرفة بيروت.

[21] أبو زهرة . محمد . **تاريخ الجدل** . دار الفكر العربي (٥) .

تعالى : ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة: ٨١) أي مخالفة رسول الله . وخالفه إلى الشيء : عصاه إليه وقصده بعد ما نهاه عنه. [٢٢] والمقصود بالمخالفين هنا : كل من خالف دين الإسلام ومذهب أهل الحق من أتباع الأديان والملل المحرفة والنحل والمذاهب الفاسدة المنتحلة .

٣/ تعريف الأصول :

الأصول جمع أصل ، والأصل في اللغة هو : أسفل الشيء وأساسه، ومنه أساس الحائط .أي :أصله .وقيل : إن الأصل هو ما يبنى عليه غيره [٢٣]، والمقصود بالأصول هنا : الأسس والقواعد التي مشى عليها أ هل الحق في تعاملهم مع المخالفين من أصحاب الديانات والمذاهب المختلفة .

٤/ تعريف أهل السنة والجماعة :

هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة الذين أخبر النبي صلى الله عنهم بأنهم يسيرون على طريقته وأصحابه الكرام دون انحراف ؛ فهم المتبعون للكتاب والسنة ، المجانبون لطرق أهل البدعة والفرقة الضلال .

وقد سموا " أهل السنة " لاستمساكهم وإتباعهم لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الاعتقاد والقول والعمل . وسموا بالجماعة لأنهم جماعة الإسلام الذين اجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا فيه أو ينحرفوا عنه [٢٤].

٥/ تعريف المقاصد :

المقاصد : جمع مقصد ، والمقصد في اللغة هو : التوجه والنهوض نحو الشيء،وقَصَدَ في الأمر قَصْدًا توسط وطلب الأسدّ ولم يجاوز الحد. وهو على قَصْدٍ أي رشد، وطريق قَصْدٌ أي أسهل، وقَصَدْتُ قَصْدَه أي نحوه [٢٥]. والمراد

---

[22] انظر : الرازي . محمد بن أبي بكر . **مختار الصحاح** . مكتبة لبنان . (١٦٣) . و **لسان العرب** . (٩ / ٩٠) .

[23] انظر : لسان العرب : (١٦/١١).

[24] انظر : العقل . ناصربن عبد الكريم . **مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة . دار الوطن :** (١٣ ـ ١٦) .

[25] انظر : لسان العرب (٣ / ٢٥٣) .

بالمقاصد هنا :الغايات والأهداف والمصالح الدينية والدنيوية العائدة على أطراف الحوار من الدخول فيه .

الفصل الثاني: مشروعية الحوار مع المخالفين للحق:

الكلام في مشروعية الحوار معهم يدور حول أمرين مهمين:

الأمر الأول: شرعية أساليبه وطرقه وما اشتمل عليه من العلم والبيان.

الأمر الثاني:سلامة المقاصد وحسن النوايا، وإرادة الخير والنصيحة للطرف الآخر والسعي لإقناعه وهدايته وتعليمه.

فأما مشروعية الحوار فقد دلت عليه أدلة الكتاب والسنة ،وأقوال سلف الأمة الصالح ومواقفهم ، وورد الحوار ـــــ بلفظه ومعناه ـــــ في نصوص الكتاب العزيز، والسنة المطهرة وأقوال السلف.

ففي القرآن في قوله تعالى:﴿ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ (الكهف:٣٤)

وفي قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (المجادلة:١) . و دلت آيات أخرى من القرآن الكريم على مشروعية الحوار مع غير المسلمين، واعتباره وسيلة من وسائل الدعوة إلى الدين الحق والمعتقد الحق، ومن ذلك [٢٦]: قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟

---

[26] انظر : د.سهل بن رفاع بن سهيل العتيبي.**الأحكام والضوابط العقدية المتعلقة بالحوار مع غير المسلمين** (٥ ـــ ٦)

بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٤).وهذه دعوة إلى توحيد الله وحده لا شريك له وإفراده سبحانه بالعبادة .وقال تعالى: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعام بالمهتدين } . (النحل: ١٢٥) أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب [٢٧]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٦) .وقد ذكر الله –عز وجل– في كتابه الكريم نماذج من حوار الأنبياء لأقوامهم، كما قال تعالى في جدال نوح لقومه: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (هود: ٣٢). وقد جادلهم وحاورهم قروناً طويلة، من غير كلل ولا ملل، في الليل والنهار، والسر والعلن. وعلى هذا الهدي سار أنبياء الله من بعد نوح، فقص الله علينا في القرآن حوار إبراهيم لأبيه وقومه والنمرود مدعي الربوبية، وحوار موسى مع فرعون، والكثير من حوار وجدال الأنبياء مع أقوامهم. ولهذا كان الجدال عن الحق والدعوة إليه من مهمات الرسل التي كلفهم الله بها . والنبي صلى الله عليه وسلم وهو المبين للقرآن كان حواره مع أهل الكتاب هو التطبيق العملي للحوار في القرآن وهو في هذا ماضٍ على سنة الأنبياء قبله.

وقد ورد الحوار في السنة القولية والعملية تارة بلفظ الجدل ،وتارة بلفظ الخصومة ،وهي ألفاظ قريبة المعنى وبينهما عموم وخصوص. وقد وردت عنه –صلى الله عليه وسلم– عدة أحاديث تدل على مشروعية الحوار، منها:

---

[27] انظر: ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم** دار الشعب . (٤/ ٥٣٢)

حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)[٢٨] . وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) [٢٩] قال ابن حزم: (وهذا حديث غاية في الصحة وفيه الأمر بالمناظرة ،وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله) [٣٠]. ومحاورات ومناظرات السلف مع المخالفين لا تحصى، وهي تعكس حرص أهل القرون الخيرية على نشر العلم وتعميق الاتصال مع الآخرين ،على أسس صحيحة ومقاصد شرعية واضحة. وعلى مدى تاريخ أمتنا الطويل والعريق حاور علماء الإسلام كافة أهل الملل والنحل بالمنهج القرآني والهدي النبوي. بل اعتبر العلماء المجادلة والمناظرة والحوار من واجبات الإسلام التي أوجبها الله على أهل العلم والبصيرة، واستدلوا بما سبق ذكره من نصوص قرآنية تحدثت عن أمر الله لأنبيائه بالحوار، أو فعلهم عليهم الصلاة والسلام.قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فأما المجادلة الشرعية كالتي ذكرها الله تعالى عن الأنبياء عليهم السلام وأمر بها في مثل قوله تعالى:﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (هود: ٣٢) وقوله:﴿

---

[28] رواه مسلم في صحيحه . كتاب الإيمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان : (٧٠/١)

[29] الحديث. سبق تخريجه في المقدمة

[30] الآمدي ، سيف الدين ، **الإحكام في أصول الأحكام** ، دار الكتب العلمية ،بيروت،١٤٠٠ (٢٩/١).

وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ (الأنعام: ٨٣)، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ (البقرة: ٢٥٨) وقوله: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥) وأمثال ذلك فقد يكون واجباً أو مستحباً، وما كان كذلك لم يكن مذموماً في الشرع " [٣١].وقال: "..والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين فهذا واجب على الكفاية منهم. وأما ما وجب على أعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قُدرهم وحاجتهم ومعرفتهم، وما أمر به أعيانهم" [٣٢].

وقال: " فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرةً تقطع دابرهم لم يكن أعطى للإسلام حقَّه، ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ولا أفاد كلامه العلم واليقين " [٣٣].

وذكر ابن القيم رحمه الله من فقه محاورة النبي صلى الله عليه وسلم لوفد نجران: " جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة " [٣٤].

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله – في فوائد قصة أهل نجران: " وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب، وقد تجب إذا تعينت مصلحته " [٣٥].

---

[31] ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم ٧٢٨ ه . **درء تعارض العقل والنقل** . مكتبة ابن تيمية . (١٥٦/٧) .

[32] درء تعارض العقل والنقل (٥١/١-٥٢).

[33] درء التعارض (٣٥٧/١) ، وأنظر : مجموع الفتاوى ، (١٦٤/٢٠-١٦٥).

[34] ابن القيم شمس الدين أبي عبد الله،٧٥١ه . **زاد المعاد** . مؤسسة الرسالة . (٦٣٩/٣).

[35] العسقلاني أحمد بن حجر .٨٥٢ه . **فتح الباري** . الطبعة السلفية الأولى (٩٥/٨).

الفصل الثالث : أهمية الحوار مع المخالفين للحق .

تبرز أهمية الحوار في كونه وسيلة قوية من وسائل التعريف بالدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ولذلك فإن من الواجب على المحاور المنتمي لأهل الحق أن يدعو غيره من المخالفين للحق إلى ما يعلمه أنه هو الدين والمعتقد الحق بعلم وحكمة ورفق ورحمة ، ولا شك أنه في مجال الحوار كل منتم إلى دين أو مذهب سيحاول الدفاع عن معتقده ومذهبه بالأدلة والحجج التي يرى أنها هي الحق ، كما أنه ـــ في الغالب ـــ لا أحد يتخلى عن دينه ويدخل دينا آخر إلا إذا حصل له ما يقنعه بفساد ما هو عليه من الباطل وأزيل ما في نفسه من شبه وتساؤلات .

ولذلك فإنه ومن خلال الحوار قد يتمكن المحاور المنتمي لأهل الحق ـــــــ إذا أعد للأمر عدته مع حسن القصد وقوة الحجة ـــــــ أن يظهر الحق ويبطل مذاهب وآراء أهل الزيغ والباطل .

والحوار يعد من أبرز وسائل الاتصال مع المخالفين للحق ـــ من مسالمين ومحاربين ـــ التي تمس الحاجة إليها في هذا العصر أكثر من أي وقت مضى ، نظرا للشبه المتنوعة والتهم الكثيرة التي ألصقها أعداء الإسلام بالإسلام وعقيدته ومقدساته ورموزه ، وهو منها براء. فيتأكد الحوار مع هؤلاء الملبسين والملبس عليهم إذا دعت الحاجة والمصلحة لذلك ، لتصحيح هذه الصور المشوهة التي ارتبطت بالإسلام وأهله في أذهانهم .

وأيضا فالحوار مع غير المسلمين وسيلة فعالة لرفع معنويات الأقليات المسلمة في البلاد غير الإسلامية، وفي المطالبة بحقوقها [٣٦].

---

[36] بسام داود عجك . **الحوار الإسلامي المسيحي** . دار قتيبة (٤٦٣)

كما إنه وسيلة للتفاهم وتقليل المخاطر على المسلمين في البلدان التي يعيش فيها المسلمون مع غيرهم من الكفار من أتباع الديانات المختلفة ، لمنع حدوث الاضطرابات والنزاعات الدينية مع مخالفيهم.

وفي الحوار دعوة لأهل الكتاب إلى بيان أصل دينهم قبل أن يحرف ، وتوضيح لهذا المعتقد الصحيح كما ورد في القرآن الكريم الذي هو وحي من الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبيان ما طرأ على دينهم من تحريف وتبديل ونسخ. قال تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٤)

الفصل الرابع: أنواع الحوار وأحكامه وأصناف المحاورَين:

المتأمل في نصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة التي جاءت في بيان مشروعية محاورة الكافرين والضالين. يجد أنها لا تستثنى أحداً منهم من أصل الحوار والجدال، سواء كانوا من أهل الذمة أو أهل الهدنة والأمان أو أهل الحرب ،لرد بغيهم وعدوانهم أو غيرهم من أهل الهوى والابتداع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " والمجادلة قد تكون مع أهل الذمة؛ والهدنة؛ والأمان؛ ومن لا يجوز قتاله بالسيف؛ وقد تكون في ابتداء الدعوة؛ كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجاهد الكفار بالقرآن؛ وقد تكون لبيان الحق وشفاء القلوب من الشبه مع من يطلب الاستهداء والبيان "[37] .

---

[37] ابن تيمية أحمد بن عبدالحليم.٧٢٨ه . **النبوات** .تحقيق :محمد عبد الرحمن عوض ،دار الكتاب العربي (٢ / ٦٢١ ـــــــ ٦٢٢)

والمتتبع لكلام أهل العلم في تقسيم الحوار والكلام على أنواعه يرى تباينا وتنوعا في أقوالهم وأرائهم في أنواعه وأقسامه، لذا أشير هنا إلى اتجاهين من اتجاهاتهم في التقسيم[٣٨]:

الأول:تقسيم الحوار بالنظر إلى جوازه وإباحته، وهذا التقسيم ينظر فيه إلى شرعية وسائل الحوار ومقاصده، والطريقة التي يتم بها الحوار وهي نوعان :

١- حوار محمود .

٢- حوار مذموم.

وغالب من يقسم هذا التقسيم ينظر إلى الحوار على أنه من باب الجدل والمناظرة....

قال النووي ـــــــ رحمه الله ـــــــ " واعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (العنكبوت : ٤٦) وقال تعالى : ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾(النحل : ١٢٥) وقال تعالى ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (غافر :٤) فإذا كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً ، وإن كان مدافعة الحق أو كان جدال بغير علم كان مذموماً. وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه" .[٣٩]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــــ رحمه الله ـــــــ " والمقصود : أنهم نهوا عن المناظرة من لا يقوم بواجبها، أو مع من لا يكون في مناظرته مصلحة راجحة ، أو فيها مفسدة راجحة ، فهذه أمور عارضة تختلف باختلاف الأحوال.وأما جنس المناظرة بالحق ، فقد تكون واجبة تارة، ومستحبة أخرى.

---

[38] انظر : فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية (١٣ ـــ ١٥) .

[39] يحيى بن شرف الدين النووي. ٦٧٦ه .**الأذكار المنتخبة من كلام سيد** الأبرار (٣٣٠). مكتبة المؤيد .ط١. ١٤٠٨ه

وفي الجملة ، جنس المناظرة والمجادلة فيها: محمود، ومذموم ، ومفسدة ومصلحة، وحق وباطل " .[40]

الثاني : تقسيم الحوار باعتبار أنه أسلوب من أساليب الدعوة إلى الدين الحق والمذهب الحق ، وهذا النوع من الحوار له ثلاث حالات يختار منها صاحب الحق ما يناسب الحال وهي :

الأولى : الحوار التعليمي :ومقصود هذا الحوار تعليم الطرف الآخر لكونه يقبل الحق إذا بلغه .

الثانية :الحوار الوعظي : وهو أسلوب من أساليب الحوار يكون متضمنا للترهيب والترغيب لكون الطرف المقابل لديه أهواء تصده عن الحق .

الثالثة : الحوار الجدلي:ومقصود هذا الحوار رد حجج الخصوم، ودفع شبهاتهم وأباطيلهم بالتي هي أحسن ،ويكون في الغالب لمن لم يقبل الحق إبتداء أو نازع فيه .

وهذه الطريقة في التقسيم دل عليها القرآن الكريم كما في قول الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥].

فالآية قد بينت أساليب الدعوة إلى الحق والهدى ، بالحكمة ، والموعظة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، بل هي الأصل في باب دعوة المخالفين للحق والمعرضين عنه ، والحوار وسيلة من هذه الوسائل فلا بد أن يحكم بما قررته الآية من المعاني الجامعة والمقاصد النافعة.

---

[40] درء تعارض العقل والنقل (٧ /١٧٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــــ رحمه الله ـــــ في تفسير هذه الآية: ".. بل الحكمة هي معرفة الحق والعمل به، فالقلوب التي لها فهم وقصد تدعى بالحكمة ، فيبين لها الحق علماً وعملاً فتقبله وتعمل به.

وآخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتباعه، فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل.

والوعظ أمر ونهي بترغيب وترهيب، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ﴾ (النساء : ٦٦) وقال تعالى : ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا ﴾ (النور : ١٧) فالدعوة بهذين الطريقتين لمن قبل الحق، ومن لم يقبله فإنه يجادل بالتي هي أحسن".[41]

الفصل الخامس: أصول الحوار مع المخالفين وقواعده .

من الضروري في عالم أصبح ـــ اليوم ـــ يموج بالكثير من النظريات الباطلة والاتجاهات والمذاهب المنحرفة، أن يلم المتصدي لحوار أصحاب هذه الأهواء والاتجاهات المنحرفة بأصول الحوار مع المخالفين وقواعده وأن يفقه مقاصده وغاياته،فقد أصبح الحوار في هذا الباب فنًّا يدرس وضرورة تحتمها الضروف ، ولا ريب في أن قياس قوة الحوار مع المخالف ونجاحه يكون على قدر توثيق أسسه وتطبيق أصوله وفهم أهدافه وتحقق مقاصده ، والمحاور البصير بالحق هو من تكون همته متجهة نحو إحكام أصول الحوار ، واستيفاء شروطه ومراعاة حدوده وفق ما قرره أهل الحق ،وغير البصير يتسرع في الكلام وينشط في النقاش من غير أساس محكم ولا علم مؤصل ، فلا يلبث بنيانه أن يسقط ويزول ، كما قال تعالى :﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم

[41] مجموع الفتاوى . (١٩ /١٦٤)

مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (النحل: ٢٦).

ولأجل هذا فأن على المحاور المنتمي لأهل الحق أن يؤكد على تأصيل الحوار وفق أصول أهل الحق ومبادئهم ، بحيث يتفق مع من يحاوره على أسسه ومقدماته وأصوله وطريقته وموضوعه وحدوده ، فيكون هذا الاتفاق مدخلاً لضبط الحوار، وتذكيرًا بأسسه وقواعده ، وإلا فالبدء بالمحاورة من دون التفاهم على أسسها ذريعة إلى التشتت والتفرق ، بل إلى فشل المحاورة ووئد نتائجها ، فالتأصيل قبل التفريع والتفصيل هو مسلك علمي دقيق لازمه أكثر العلماء في سائر فنون العلم.

قال أبو القاسم عبيد الله بن عمر بن أحمد_ رحمه الله_: " إن من حق البحث والنظر الإضراب عن الكلام في فروع لم تحكم أصولها،والتماس ثمرة لم تغرس شجرها،وطلب نتيجة لم تعرف مقدماتها ".[٤٢]

فتذكير أطراف الحوار بأصول الحور وقواعده كالدليل على المدعي ، وما هو الدليل ، وتحديد موضوع المحاورة قبل الشروع فيها_شرط مهم لنجاح الحوار .[٤٣] لاسيما والنقاش في المسائل العقدية والمذهبية غالبا ما يكون مشحونا بالتعصب والتشنج والأحقاد .

وقال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: " ينبغي لمن ناظر غيره أن يؤسس الأسس التي يتفق عليها المتناظران، ثم إذا حصل الاتفاق وتم الالتئام، انتقل منه إلى المواضع المختلفة فيها بلطف ولين وهدوء ".[٤٤]

---

[42] ابن عبدالبر . **جامع بيان العلم وفضله** . دار الكتب الإسلامية (١ /٧٨٥)

[43] محمد كمال الطويل . **الحوار في القرآن الكريم** . دار الفارابي (٢٥)

[44] السعدي. عبدالرحمن بن ناصر. **مجموع الفوائد واقتناص الأوابد** . دار ابن الجوزي (٢٥٥)

هذا وللحوار مع المخالفين للحق أصول وقواعد كثيرة نعرض لأبرزها فيما يأتي :

- **تمييز الحق عن غيره بحيث يكون الحق المعتبر هو نفس ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم .**

أي: تمييز الشرع المنزّل ،عن الشرع المحرَّف، فلا يصح مقابلة الباطل بباطل آخر ، ولا مقابلة البدعة ببدعة أخرى.

ولمَّا كان الحوار الممدوح أسلوباً من أساليب الدفاع عن الإسلام وعقيدته ومبادئه ، كان لابد أن يكون الشيء الذي يدافع عنه ويجادل من أجله هو نفس ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أخبر به أمته، فأما إذا كان هذا الذي يدافع عنه فيه ما يوافق خبر الرسول وفيه ما يخالفه ، كان تميزه قبل الدفاع عنه أولى من الذب عما يناقض خبر الرسول صلى الله عليه وسلم فإن حاجة المؤمنين إلى معرفة ما قاله الرسول وأخبرهم به ليصدقوا به ، ويكذبوا بنقيضه ويعتقدوا موجبه ، أولى من حاجتهم إلى الذب عن ذلك الأمر المشتبه فيه الحق بالباطل ، والرد على من يخالفه .[٤٥] وأيضا فما يجري على الكلام نفسه من أحكام فإنه لابد أن يجري على مقدماته فلا يكفي أن يكون الكلام حقا في نفسه ،بل يجب أن تكون مقدماته صادقة معلومة، والتحاور فيه لا يورث شبها وعداوة تكون مفاسدها راجحة على مصالحها .

- **لا تسوغ مجادلة أهل الضلال والباطل أو مناظرتهم لمن لا علم ولا بصيرة عنده.**

---

[45] درء تعارض العقل النقل (٧/ ١٨٢)

الأصل في مذهب أهل السنة والجماعة عدم مجالسة أهل البدع والضلال أو مجادلتهم أو عرض شبههم [٤٦]. بناء على ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ (الأنعام: ٦٨) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (المهاجر من هجر ما نهى الله عنه) [٤٧]. لكن إذا عمت البلوى بأهل الأهواء والباطل وقويت شوكتهم وشاعت في الناس مقالاتهم وانتشرت وخيف اندراس الحق وذهابه ، فإنه يشرع لأهل الحق عند ذالك من باب المجاهدة لهم والدفاع عن الحق أن يناظروهم ويجادلوهم وحتى لو احتاج الأمر إلى مباهلتهم [٤٨] إذا أصروا على الباطل بعد البيان [٤٩]، لكن أهل الحق أكدوا في هذا الباب على ضرورة أن يتولى هذه المهمة أهل العلم والفقه والبصيرة بمئآلات الأمور وعواقبها والمعرفة للحق بأدلته ، وإدراك الباطل وأساليب الرد على شبهاته ، وأنه لا يسوغ الدخول في مجادلتهم ومناظرتهم لمن لا علم عنده ولا قدرة لديه على إقامة الحجة عليهم ورد ضلالاتهم ودحض شبههم [٥٠] . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المعنى : " ..يجب أن يعلم أن الأمور المعلومة من دين المسلمين لابد أن يكون الجواب عما يعارضها جوابا قاطعا لا شبهة فيه ، بخلاف ما يسلكه من يسلكه من أهل الكلام الذين يزعمون أنهم يبينون العلم واليقين بالأدلة والبراهين وإنما يستفيد الناظر في كلامهم كثرة الشكوك والشبهات ....، فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم ، لم يكن أعطى الإسلام

---

[46] انظر :اللاكائي . ابي القاسم الطبري . **شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة** . مقدمة المحقق . دار طيبة . (١ / ٥٣) .

[47] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب الإيمان . باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . (١ / ٨ ــ ٩) .

[48] المباهلة : الملاعنة . وهو ان يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا . أنظر : لسلن العرب : (١١ / ٧٢) .

[49] انظر مقدمة في الملل والنحل : (٤٩) .

[50] انظر : المصدر السابق : (٤٧ ـ ٤٨) .

حقه ،ولا وفى بموجب العلم والإيمان ، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ، ولا أفاد كلامه العلم واليقين . "[51]

- **لابد من فقه مئالات الأمور وعواقبها وتقدير الضروريات وتراتبها .**

المحاور المنتمي لأهل الحق الذي يتصدى للحوار مع المخالفين من مختلف الأهواء والمشارب ، يجب أن تكون لديه أهلية تقدير المصالح والمفاسد ، وله إحاطة بدلائل الشرع وتفاصيله وملكة على استنباط الأحكام وتنزيلها على الواقع، بحيث يدرك من خلال ما سبق عواقب إقدامه على محاورة المخالفين ومناظرتهم، وما هي تبعاتها وآثارها المحتملة ، ولابد أن يكون فقيها في مقاصد الشريعة ولاسيما فقه الضروريات والأولويات ، وتراتبها في المسائل والقضايا التي يطرقها، وأن يوثر أولا الكلام في المصالح الكلية والمطالب الضرورية على الكلام في الجزئيات والأمور التفصيلية . ومما يدل لهذا الأصل ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية عن كفار مكة في أثناء مداولات ومراسلات الصلح معهم : " والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها " [52] فقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الأولوية لمقصد عظيم من مقاصد الشريعة وهو تعظيم حرمات الله . ومما يدل على ضرورة فقه مئالات الأمور ومعرفة مواضع السكوت ومواضع الكلام ومواطنهما ، ما ورد عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وقد بلغه وهو بالموسم في آخر حجة حجها أن رجلا قال لو مات عمر لبايعنا فلانا، فأراد أن يقوم في الناس خطيبا يحذرهم من أمثال هؤلاء المرجفين ، فنصحه عبد الرحمن بن عوف بأن لا يفعل لأنه لو فعل ذالك لغلب على قربه الرعاع والدهماء[53] من الناس فلم يعقلوا مقالته ولم ينزلوها على وجهها

---

[51] درء تعارض العقل والنقل : (١ / ٣٥٧) .

[52] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب الشروط . باب الشروط في الجهاد (٣/ ١٨١) .

[53] الرعاع والدهماء من الناس : غوغاءهم ،وعوامهم ، وجهلتهم ، وسفلتهم ، وجماعتهم ممن لا فقه ولا بصيرة لديهم ، وهم الذين إذا فزعوا طاروا وهربوا . أنظر : لسان العرب : (٢ / ٢١١) (٨ / ١٢٨) .

فيطيروا بها كل مطير ، وإنما يمهل حتى يقدم المدينة فيخلص بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيحفظوا مقالته وينزلوها على وجهها .[٥٤]

- **الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مُسَلَّمة وأصول يرجع إليها لا تقبل المساومة .**

أقر الإسلام مبدأ الحوار مع الموافقين والمخالفين من المسلمين وغير المسلمين، وجعل لهذا الحوار أسسا يبنى عليها وشروطا وضوابط وحدودا ينتهي إليها. ومن ذلك عدم التنازل عن الثوابت الشرعية والأصول القطعية والمسلمات العقلية التي يقر بها عموم العقلاء ، إذ لا مساومة في الحوار على ثوابت الدين وأصول المعتقد وبديهيات العقول .

هذه المُسَلَّمات والثوابت قد يكون مرجعها ؛ أنها عقلية بحتة لا تقبل النقاش عند العقلاء المتجردين ؛ كحُسْنِ الصدق ، وقُبحِ الكذب ، وشُكر المُحسن ، ومعاقبة المُذنب . أو تكون مُسَلَّمات دينية لا يختلف عليها المعتنقون لهذه الديانة أو تلك .

وبالوقوف عند الثوابت والمُسَلَّمات في مذهب أهل الحق ، والانطلاق منها يتحدد مُريد الحق ممن لا يريد إلا المراء والجدل والسفسطة [٥٥]. ومن أصول الحوار وضوابطه عند أهل الحق أن لا يكون موضوع الحوار قضايا ثابتة في الدين بهدف إعادة النظر فيها. فالحوار ليس من قبيل الترف الفكري وحب الاستطلاع حتى يخوض المتحاورون في كل شيء، فثمة قضايا ومسائل لا يجوز الخوض فيها بحوار أو جدال إما بسبب محدودية العقل البشري إزاءها،

---

[54] رواه البخاري في صحيحه . كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . باب ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحض على اتفاق أهل العلم .. (٨ / ١٥٢) .

[55] السفسطة: هي لفظ معرب مركب في اليونانية من كلمتين: (سوفيا) وهي الحكمة، و(اسطس) وهو المموه؛ فمعنى السفسطة: حكمة مموهة، ويراد بالسفسطة: التمويه والخداع، والمغالطة في الكلام.
والغرض من ذلك: تغليط الخصم، وإسكاته.
والسوفسطائية طائفة من الفلاسفة تقوم على إنكار الحقائق، والقياسات الوهمية. وهم أناس عرفوا بهذه المهنة التي ازدهرت في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد . أنظر : التعريفات للجرجاني . دار الفضيلة . القاهرة . (١٠٢) وتاريخ الفلسفة . يوسف كرم : (٤٥) .

أو بسبب عدم ترتب أي ثمرة علمية أو عملية من ورائها، أو لأنها محسومة أساساً بنص شرعي أو إجماع .

ومن القضايا التي ليست محلاً للحوار والجدال فيها، البحث في ذات الله تعالى أو كيفيات صفاته ، فهذه مسائل منهي عن البحث فيه شرعاً ،لأن ذلك من باب القول فيها بلا علم، والعلم شرط أساس من شروط الحوار. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء : ٣٦).

ومن الأمور التي لا تدخل في دائرة الحوار مع المخالف ،المسائل التي حكم الله تعالى ورسوله فيها بنص محكم جلي ،أو أجمع عليها علماء الإسلام، وبالجملة فكل ما يحرم الحديث فيه شرعاً من الأحكام والثوابت الدينية لا يجوز الحوار والجدال في شأنها، لأجل إعادة النظر فيها أو تقويمها أو تغييرها .

ومما ينبني على هذا الأصل ؛ أن الإصرار على إنكار المُسلَّمات والثوابت مكابرة قبيحة ، ومجاراة منحرفة عن أصول الحوار والمناظرة ، وليس ذلك شأن طالبي الحق بل هي عادة المخادعين والمغالطين. [٥٦]

- **إقامة الحوار على مبادئ الصدق والعدل ، والبعد عن التعصب ، والالتزام بآداب الحوار .**

الحوار المقبول شرعا وعرفا هو ما كان أساسه الصدق وعماده العدل ، الصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام ، والاجتهاد في تحري الحق وقبوله ممن جاء به كائن من كان ونبذ التعصب والتحزب هو مسلك أولي الألباب .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " الرد بمجرد الشتم والتهويل لا يعجز عنه أحد ، والإنسان لو أنه يناظر المشركين ، وأهل الكتاب لكان عليه أن يذكر من

[56] أصول الحوار وآدابه في الإسلام : (١٨) .

الحجة ما يبين به الحق الذي معه ، والباطل الذي معهم"[٥٧] ويقول _ أيضاً _ : " فالكذب على الشخص حرامٌ كله سواء كان الرجل مسلماً أو كافرا "[٥٨]. وقال في موضوع آخر: " والظلم محرم في كل حال ، فلا يحل لأحد أن يظلم أحداً ولو كان كافرا" .[٥٩]

وهنا قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهي : أن الحق يعرف بأدلته وشواهده لا بقائله أو ناقله ، فالمحاور اللبيب هو الذي يدور مع الحقائق ويؤصل لها ويدعوا إليها . قال معاذ بن جبل _ رضي الله عنه _ :" اقبلوا الحق من كل من جاء به ، وإن كان كافراً ، أو فاجراً ، واحذروا زيغة الحكيم " . قالوا : كيف نعلم أن الكافر يقول الحق ؟ قال : " إن على الحق نورا " [٦٠].

وقال ابن تيمية _ رحمه الله _ : " والله أمرنا ألا نقول إلا الحق ، وألا نقول عليه إلا بعلم ، وأمرنا بالعدل والقسط ، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني _ فضلاً عن الرافضي _ قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله ، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق " [٦١]. وقال ابن القيم _ رحمه

---

[57] مجموع الفتاوى ، (٤ / ١٨٦) .

[58] المصدر السابق (٢٨ / ٢٢٣) .

[59] المصدر السابق (١٩ /٤٤٠) .

[60] رواه أبو داوود في سننه. كتاب السنة . باب لزوم السنة . المكتبة الإسلامية (٤/ ٢٠٢) قال الألباني : " صحيح الإسناد موقوف " . صحيح سنن أبي داوود (٣ / ٨٧٢) . والحاكم ف المستدرك . كتاب الفتن والملاحم : (٤/ ٤٦٦) وصححه ووافقه الذهبي.

[61] ابن تيمية . أحمد بن عبد الحليم . **منهاج السنة** . محمد رشاد سالم .جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .الرياض. ط١. ١٤٠٦هـ (٢ / ٣٤٢)

الله _ : " اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضاً، ورد الباطل على من قاله ولو كان حبيباً"[٦٢] .

إن إتباع الحق ، والسعي للوصول إليه ، والحرص على الالتزام به ؛ هو الذي يقود الحوار إلى طريق مستقيم لا عوج فيه ولا التواء ، أو مراعاة لهوى الجمهور ، أو الأتْباع .. والعاقل – فضلاً عن المسلم – الصادق طالب حقٍّ،باحثٌ عن الحقيقة،ينشد الصواب ويتجنب الخطأ.

يقول أبو حامد الغزاليّ : " التعاون على طلب الحق من الدّين ، ولكن له شروط وعلامات ؛ منها أن يكون في طلب الحق كناشد ضالّة ، لا يفرق بين أن تظهر الضالّة على يده أو على يد معاونه . ويرى رفيقه معيناً لا خصماً . ويشكره إذا عرّفه الخطأ وأظهره له " [٦٣].

ومن مقولات الإمام الشافعي المحفوظة : " ما كلمت أحداً قطّ إلا أحببت أن يُوفّق ويُسدّد ويُعان ، وتكون عليه رعاية الله وحفظه ، وما ناظرني فبالَيْتُ ! أظَهَرَتِ الحجّةُ على لسانه أو لساني " [٦٤].

وفي ذمّ التعصب ولو كان للحق ، يقول الغزالي : " إن التعصّب من آفات علماء السوء ، فإنهم يُبالغون في التعصّب للحقّ ، وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار ، فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة ، وتتوفر بواعثهم على طلب نُصرة الباطل ، ويقوى غرضهم في التمسك بما نُسبوا إليه . ولو جاؤوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة ، لا في

---

[62] ابن القيم . شمس الدين أبي عبد الله.٧٥١ه . **مدارج السالكين**.تحقيق : محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة (٢ / ٣٩).

[63] الغزالي . أبي حامد محمد بن محمد. ٥٠٥ه. **إحياء علوم الدين** (١ / ١٠٠). تحقيق:سيد إبراهيم . دار الحديث .القاهرة .١٤١٤ه

[64] إحياء علوم الدين : (٢٦/١)، ، و المناوي . عبد الرؤوف . فيض القدير، دار المعرفة : (٩٠/٣).

معرض التعصب والتحقير، لانجحوا فيه ، ولكن لمّا كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ، ولا يستميل الأتْباع مثلُ التعصّب واللعن ، والتّهم للخصوم ، اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم "[٦٥] .

والمقصود من كل ذلك أن يكون الحوار بريئاً من التعصّب خالصاً لطلب الحق ، خالياً من العنف والانفعال ، بعيداً عن المشاحنات الأنانية والمغالطات البيانيّة ، مما يفسد القلوب ، ويهيج النفوس ، ويُولد النَّفرة ، ويُوغر الصدور ، وينتهي إلى القطيعة .

فالحوار العلمي المنهجي يؤسس على مقدمات صادقة ، ونقول صحيحة وأسانيد ثابتة ، ومعلومات موثقة ، وحقائق ثابتة ، وإلا فإن النتائج لا تسلم .

ومما يجب على المحاور المسلم عندما يحاور غيره أو يرد عليه بأية وسيلة أن يحذر من الكذب أو التجّني عليه، وتقويله مالم يقله. ودليل هذا المبدأ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[المائدة: ٨]

قال ابن جرير –رحمه الله– في تفسيرها: " لا يحملنكم عداوة قوم على أن لا تعدلوا في حكمكم فيهم، وسيرتكم بينهم؛ فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة " [٦٦] .

والمسلم رائده الحق، والحكمة ضالته، فهو يطلبها ويقضي بها بلا غضاضة، من أي طريق جاءت، فالرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبي هريرة عن الشيطان مصدر الشرور والآثام: " صدقك، وهو كذوب، ذاك شيطان" [٦٧].

---

[65] إحياء علوم الدين (١ / ١١٠) .

[66] أبو جعفر. محمد بن جرير، ت ٣١٠ه، **جامع البيان في تفسير القرآن** ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٤١٢ه : (٦ / ٩١)

[67] رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق / باب صفة إبليس ، (٤ / ٩٢) .

وعلى هذا الأدب درج أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأقروا لمخالفيهم ما عندهم من الحق وبينوه وأعلنوه، ومن ذلك ما قاله المستورد القرشي ـــ رضي الله عنه ـــ وهو عند عمرو بن العاص ـــ رضي الله عنه ـــ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " تقوم الساعة والروم أكثر الناس" . فقال له عمرو: أبصر ما تقول! قال: أقول ما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلَم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فره ، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك[٦٨].

وكذا أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على النجاشي بما فيه من خلال الخير، وهو يومئذ على الكفر، فقال لأصحابه: (إن بالحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد، فلو خرجتم إليه حتى يجعل الله لكم فرجاً) [٦٩] .

وفي درس بليغ آخر يقبل النبي صلى الله عليه وسلم من يهودي نصيحته، ففي حديث ترويه قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: أتى حبر[٧٠] من الأحبار رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون؟ قال: " سبحان الله! وما ذاك؟ " قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة. قالت: فأمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ثم قال: " إنه قد قال ـــ أي حقاً ـــ فمن حلف فليحلف برب الكعبة " [٧١]. ولابد من إعادة التأكيد على أن رفض المسلم للأديان والمذاهب المخالفة للإسلام وبراءته منها ومن أهلها، لا يعني

---

[68] رواه مسلم في صحيحه ، كتاب أشراط الساعة . باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس ح (٢٨٩٨) (٤/ ٢٢٢٢).

[69] انظر: ابن حجر . احمد بن علي . **فتح الباري**. كتاب مناقب الأنصار . باب هجرة الحبشة . : (٧ /٢٢٦) .

[70] الحبر هو : عالم الدين أو رئيس الكهنة عند اليهود انظر : المعجم الوسيط . المكتبة الإسلامية : (١٥١) وقاموس المصطلحات الكنسية : (٢ / ح) .

[71] رواه الإمام أحمد في المسند . ح (٢٦٥٣٣)

أن يظلم الناس أو يعتدي عليهم، بل إننا مأمورون بالبر والقسط مع كل من لا يحارب الإسلام والمسلمين. ثم إن العادل المنّصف عّندما يوازن بين ما جاء به الإسلام من بر وعدل وإحسان وسماحة مع المسلمين وغير المسّلمين، وما عليه أصحاب الديانات المحرفة والمذاهب الباطلة،في مواقفهم نحو مخالفيهم، يجزم بأّنه لا يوجد دين أو مذهب يعامل مخالفيه بالعدل والرحمة، والبر والإحسان والسماحة ،كما يوجد في الإسلام باعتراف أعدائه قبل أصدقائه .

- **المجادلة بالتي هي أحسن والبدء بنقاط الاتفاق مع المخالفين للحق والحرص على المشتركات معهم .**

من أصول أهل الحق في الحوار مع المخالفين ـــــــــ لاسيما أهل الكتاب غير الظالمين منهم ـــــــــ مجادلتهم بالتي هي أحسن قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ (العنكبوت: ٤٦) وقال تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥).

فأمر الله أهل الحق في هذه الآية بالجدال بالتي هي أحسن وعلمهم منها جميع آدابه **من** الرفق والبيان والتزام الحق والرجوع إلى ما أوجبته الحجة .[٧٢]

كما أمر الله المؤمنين أن يقولوا الحق الذي أوجبه الله عليهم ، وعلى جميع الخلق ليرضوا به الله ، وتقوم به الحجة على المخالفين ، فإن هذا من الجدال بالتي هي أحسن ، وهو أن يقول المجادل كلاماً حقاً يلزمه ويلزم المنازع له أن يقوله ، فإن وافقه وإلا ظهر عناده وظلمه .[٧٣]

---

72 انظر :الخطيب البغدادي . أحمد بن علي . الفقيه والمتفقه دار ابن الجوزي: (١ / ٣٢٩)

73 انظر : ابن تيمية . احمد بن عبد الحليم . **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** . مطبعة المدني (٢ /٤٣).

وفي قوله تعالى ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ نهى عن مجادلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا بالتي هي أحسن ، إلا من ظلم من الطائفتين ، فإنه يعاقب باللسان تارة وباليد أخرى ، كما أمر الله ورسوله بجهاد الظالمين من هؤلاء وهؤلاء .[٧٤]

أما قوله تعالى:

﴿ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾

ففيه أن المجادلة لأهل الكتاب يجب أن تكون مبينة على الإيمان بالمشتركات بين الإسلام والديانات السماوية قبل أن يطرأ عليها التحريف من الإيمان بما أنزل ألينا وأنزل إليهم ، والإيمان برسولنا ورسولهم ، وعلى أن إله الجميع واحد هو الله وحده لا شريك له [٧٥].

وهذه هي الكلمة السواء التي عبر القرآن عنها في قوله تعالى:﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ (آل عمران : ٦٤) ولاشك أن تحديد النقاط المشتركة مع المخالفين منذ البداية والبدء بها، يساعد على تحديد نقاط الخلاف وتحرير محل النزاع ،ومن ثم محاولة معالجتها بروية وتدرج وإقناع .

كما أن العناية بالمشتركات يسهم في تقليل الفجوة بين طرفي الحوار http://www.cars2arab.com/vb/forumdisplay.php?f=80 أو أطرافه المختلفين ، وهذه الطريقة في الحوار تزيد من فرص التلاقي وإدرك كل طرف لما لدى الطرف الآخر. كما أن من شأن البدء بالنقاط المشتركة

---

[74] المصدر السابق ، (٢/ ٤٧).

[75] انظر : ابن سعدي . عبد الرحمن بن ناصر . **تيسير الكريم الرحمن** . جمعية إحياء التراث الإسلامي (٨٧٢) .

إزالة سوء التفاهم بين الطرفين أو الأطراف، حول هذه النقاط التي لا يوجد عليها خلاف في الأصل وتهدئة للنفوس والخواطر، وتهيئتها للقبول بالحق أيا كان قائله .

كما إنه لا يمكن إغفال التأثير الإيجابي للانطلاق من النقاط المشتركة على نفسيات المتحاورين ، إذا ما بدأوا حوارهم في جو من الهدوء، بدلاً من أجواء يسودها التوتر النفسي والذهني منذ البداية.

والحال ينعكس لو استفتح المُتحاورون حوارهم بنقاط الخلاف وموارد النزاع ، فإن ذلك سيجعل ميدان الحوار ضيقاً وأمده قصيراً ، ومن ثم يقود إلى تغير القلوب وتشويش الخواطر، ويحمل كل طرف على التحفُّز في الرد على صاحبه مُتتبِّعاً لثغراته وزَلاته ، ثم ينبري لإبرازها وتضخيمها ، ومن ثم يتنافسون في الغلبة أكثر مما يتنافسون في تحقيق المقصود من الحوار وهو قول الحق وقبوله . والبصير بحقائق الشرع هو الذي يوصل الخلق إلى الحق بأيسر الطرق ، وأقربها و أفضلها ، و أقلّها تعقيداً وضرراً ، ومن ذلك أن يحاورهم من نقطة اتّفاق لا من نقطة افتراق ، فأطراف الحوار مهما اختلفت وتباينت أفكارهم لا بد من وجود مواضع اشتراك بينهم سواء في الاعتقادات ، أو في العبادات ، أو في التصورات والأفكار ، أو ربما في العادات .والموفق من اجتهد في الكشف عن تلك المواضع للدخول منها إلى مواضع الاختلاف والتباين . وهذا المسلك من التحاور يدل على رغبة أطراف الحوار بتنمية الخير ، والحرص على أهله ، " فليس النقض والهدم سبيلاً إلى النفوس ، بل إنه لون من ألوان الصد عن سبيل الله لا ينبغي أن يسلكه من يريد الهداية للخلق ، وكل إنسان _ ولو كان كافراً لا يعدم نقطة خير في قلبه يبدأ بها المسلم فيدخل إليها ، أو يدخل منها ثم ينميها ،و ييسر بها هدفه الذي

يريد "[٧٦] إن البدء مع المخالف للحق من نقطة الإثارة أو تتبع مواضع الاستفزاز لديه ، وإهمال جانب ترغيبه في الحق والرفق به ومحبة هدايته وإيصال الخير إليه ليس من مسالك أهل الحق ، وهو أسلوب يدل على ضعف همة صاحبه وسوء مقصده ثم إن البدء مع المخالف من نقاط الالتقاء معه إنما يكون بقصد تقريبه إلى الحق وترغيبه فيه، لا تذويب الحق وتمييعه ، وهذا يحتاج من المحاور أن يكون عالما بمراتب الحق وأولوياته والتدرج في عرضه على الناس .

● **حمل كلام المحاور على أحسن المحامل وجريانه على ظاهره هو الأصل حتى يثبت العكس** . الحوار مع المخالفين لابد أن يتم على مبدأ الصدق والصراحة والوضوح بحيث أن كل طرف فيه يكون حريصا على استقصاء المعاني والحقائق الظاهرة في خطابه، ولذالك فلا حاجة للدخول في النيات والتكلف في التأويلات ، ما دام أن الأصل في هذا الباب حمل كلام المخالف على ظاهره حتى يتبين العكس بالشواهد والبراهين .

إن المسارعة في الحكم على البواطن دون مسوغ أو دون النظر في الأقوال والأدلة والمقدمات ، يكشف عن عجز وقصور من يقدم عليه ، وفساد في منهجه وتصوره للأمور. وهذا المسلك الشنيع المصادم لمقاصد الشريعة اعتمده المشركون في الطعن على النبي صلى الله عليه وسلم واتهامه في قصده ونيته كما قال تعالى عنهم : ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ (ص : ٦) قال الشيخ السعدي : " أي : له قصد ونية غير صالحة في ذلك ،وهذه شبهة لا تروج إلا على السفهاء ، فإن من دعا إلى قول الحق أو غير حق ،لا يرد قوله بالقدح في نيته ، فنيته وعمله له ، وإنما يرد بمقابلته

[76] أدب الحوار والمناظرة ، للدكتور علي جريشة ، (٨٠)

بما يبطله ويفسده من الحجج والبراهين "[77] . وقد حذر الله عباده المؤمنين في تعاملهم مع خصومهم من أن تدفعهم مطامع الدنيا إلى أن يجوروا عليهم، أو أن يتهموهم ،أو يدعوا عليهم بما هم منه براء قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾ (النساء: ٩٤) وفي حديث أسامة ابن زيد حينما قتل رجلا بعدما قال :لا إله إلا الله . قال له رسول الله : أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟؟ قال : إنما قالها تعوذا، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشققت عن قلبه ؟"[78]

وهنا لابد من التنبه لمسألتين في هذا الموضوع وهما [79]:

الأولى : أن الأصل في معاملة المحاور إنما يكون بما يظهر من كلامه ، وهذا يكون فيمن ظاهره السلامة أو خفيت حاله ،أما من علم من حاله بالأدلة القاطعة والقرائن الواضحة أنه يبطن خلاف ما يظهر، فإن المحاور له في هذه الحالة لابد أن يعامله وفق ما تيقنه من حاله لا ما ظهر من مقاله .وهذا المنهج هو المعول عليه في الحوار مع أصحاب البدع المغلظة، كالرافضة ،والباطنية ،وغلاة الصوفية، والزنادقة وغيرهم الذين يستحلون الكذب ويبطنون خلاف ما يظهرون .

الثانية : أن إرادة الخير وحسن القصد لا يمنعان من بيان خطأ المخطئ أو تعدي المتعدي ، فإن مقصود الحوار تمييز الخطأ من الصواب في الأقوال

---

[77] تيسير الكريم المنان : (٦ /٤٠٨ ـــــــ ٤٠٩)

[78] أخرجه البخاري في صحيحه.كتاب المغازي .باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم –أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة (٨٨/٥).ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لاإله إلا الله (٩٤/١).

[79] انظر : فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية (٤٤ ـ ٤٥) .

والأفعال ،وعرضها على ميزان الشرع بالعلم والعدل ، أما الكلام في النيات والمقاصد فمجال بحثها في باب الأحكام والقضاء لا في باب الحوار .

- **تقديم الأصول ، والبدء بالأهم ، والتدرج في عرض الموضوعات، ومراعاة حال المخاطب.**

من الأصول المهمة المحققة لمقاصد الحوار عند أهل الحق، أن يتدرج المحاور في عرض مسائل الحوار وموضوعاته وفقًا لقاعدة التدرج الشرعي مراعيًا حال المخالف للحق ، إذ مقصود الحوار : تقريب المعاني له وليس تعقيدها ، وتيسير الحال عليه وليس تعسيره ، والترغيب في الحق وليس التنفير عنه ،والنصوص الشرعية أكدت منذ أول البعثة على أهمية التدرج في الدعوة على وفق الأحوال والأزمان ، لهذا قالت عائشة-رضي الله عنها - في التدرج في نزول القران : " إنما نزل أول ما نزل منه سور من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبدا .. " [80] ولما بعث النبي معاذاً إلى اليمن ذكره بهذا الأصل العظيم ، فقال " إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك و كرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"[81]. قال الحافظ ابن حجر _ رحمه الله _ : " ...

---

[80] أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب فضائل القرآن . باب تأليف القرآن (٦ / ١٠٠ ـــــــ ١٠١).

[81] أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب الزكاة . باب وجوب الزكاة . (٢ / ١٠٨) .

بدأ بالأهم فالأهم ، وذلك من التلطف في الخطاب ، لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة " [٨٢]

فلكي يكون الحوار جدياً ومنتجاً ينبغي أن يبدأ المتحاورون من أهم الموضوعات ثم التدرج في الحوار على هذا النسق. ولاشك أن إتباع هذا الأسلوب سيجنب المتحاورين ضياع الوقت والجهد. كما يساعدهم على معالجة القضايا الكلية التي تتحكم في الفرعيات والتفاصيل الجزئية.

الفصل السادس : مقاصد الحوار مع المخالفين للحق عند أهل السنة والجماعة .

تمهيـــــد :

سبق وأن بينت في المقدمة أن مقاصد الحوار مع المخالفين للحق من الأهمية بمكان في مذهب أهل الحق ،لأن عليها المعول في الحكم بمشروعية الحوار من عدمها ،وفي الإقدام على الحوار أو الإحجام عنه ، فالأمور إنما تقاس بمقاصدها مشروعية واعتبارا ؛ والحوار مع المخالفين يكتسب مشروعيته واعتباره من صحة مقاصده ومشروعيتها ، وقد مر معنا أيضا أن مقاصد الحوار تتعدد وأن وسائله تتنوع لتعدد مقاصده. ولما كانت المقاصد متعددة والوسائل متنوعة، فمن البديهي أن لا تكون مواقف الحوار مع المخالفين في الدين والعقيدة ـــــــ على اختلاف مللهم ومذاهبهم وتفاوت مراتبهم في القرب من الحق أو البعد عنه ـــــــــ على وتيرة واحدة ،ولا أسلوب واحد تبعا لهذا التعدد والتنوع ، فمن المواقف ما يكون المقصود منه تأليف المخالف وتقريبه من الحق ،والتنزل معه في الخطاب ،وخفض الجناح له كي يقبل الحق ويقتنع به ولا يكابر أو يعاند .ومنها ما يكون مقصود الحوار فيه إفحام المخالف المعاند للحق وكسر شوكته ،والتخفيف من سطوته على أهل الحق

---

[82] فتح الباري ،(٣/ ٤٢١) .

،وإضعافه وكف شره وأذاه، وبيان فساد معتقده وكشف مخططاته وشبهاته .ومن المواقف ما يكون المقصود منه إظهار القوة والغلبة لدين الله وأولياءه ، ومنها ما يكون المقصود منه بيان محاسن الإسلام وسماحته وسمو تشريعاته، والرد على شانئيه والمشككين في أحكامه.ولا شك أن خطاب المحاور المسلم وتعامله مع المخالفين في هذه المواقف سوف يختلف ويتفاوت من اللين إلى الشدة ،ومن الإقناع إلى الإفحام، ومن الترغيب إلى الترهيب .واختلاف هذه المواقف تبعاً لتعدد المقاصد ليست تناقضاً ولا هي بدوافع الهوى والتشهي، وإنما هي مواقف شرعية محكومة بالدليل ومنظور فيها تحقيق المصلحة المعتبرة شرعا وعرفا ، بحيث توضع الأمور فيها في نصابها الصحيح ،وتوقع فيها الأحكام والمواقف على ما يناسبها من التصرفات والأشخاص ،وفق مواضعها التي أرادها الله وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم ومضى عليها سلف الأمة وأئمتها المهديين .

أبرز مقاصد الحوار مع المخالفين للحق .

الحوار وسيلة إقناعية وأسلوب علمي يتم من خلاله تقرير الحق ودفع الباطل. فمقاصده الكبار تدور على الوقاية والهداية معا الوقاية من الباطل بالتحذير منه وكشف شبهه وعيوبه ، والهداية للدين الحق والمذهب الذي عليه أهل الحق .

ومن مقاصده إقامة الحجة وتحصيل التقوى قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (الأعراف : ١٦٤) وإذا كان مقصود الحوار الأعظم يدور على بيان الحق وهداية الخلق، وكشف الباطل ورده بالعدل ، فثمة مقاصد تندرج تحت هذا المقصود الأسمى نذكر أبرزها فيما يأتي :

- **الدعوة إلى المعتقد الحق والمذهب الحق وأن يكون الدين كله لله .**

مما يجب أن يُعلم : أن دعوة الكفار بعامة ، وأهل الكتاب بخاصة إلى المعتقد الحق الذي جاء به الإسلام واجبة على المسلمين ، بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة ، وذلك يكون بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن ، وعدم التنازل عن شيء مما جاء به، للوصول إلى إقناعهم بالحق ، ودخولهم فيه ،أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك ـــــ منهم ـــــ عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (آل عمران : ٦٤) ، أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم ، وتحقيق أهدافهم ، ونقض عرى الإسلام ومعاقد الإيمان فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون قال تعالى : ﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾(المائدة : ٤٩) . وهذه الآية ـــــ أعني قوله تعالى ـــــ :﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾. تدل دلالة واضحة على دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام، دعوة صريحة تفرق بين الحق والباطل، فإن قبلوا فهم مسلمون وإن رفضوا فقد أقمنا عليهم الحجة بأنا مسلمون وهم كافرون. لكن البعض من أصحاب الأهواء يضعون هذه الآية الكريمة في غير موضعها، ويستدلون بها على غير وجهها ، يحرفون الكلم عن مواضعه التي أرادها الله، فيقولون إن الآية دعوة لما يسمونه بحوار الأديان. يقولون إن معنى كلمة (سواء) أي مستوية بيننا وبينهم فلا ننكر عليهم دينهم ولا ينكرون علينا ديننا، فالأديان كلها دين الله وهي سواء،

وأننا مأمورون بمحاورتهم لنسمع منهم ويسمعوا منا، دون أن نحسم الأمر ونبين الحق من الباطل، ودون أن نبين أن الإسلام هو الحق وأن الأديان غيره الموجودة حالياً باطلة بطلاناً تاماً ،وهي كفر صاحبها مخلد في النار.

والحقُّ إنَّ كلمة (سواء) المذكورة في الآية الكريمة تعني الحق والعدل ،أي هي دعوة للنصارى واليهود إلى كلمة حق وصدق وعدل، وقد بين الله سبحانه وتعالى المراد منها بما ذكره في سياق الآية نفسها بقوله : ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران:٦٤].

يقول القرطبي ـــــ رحمه الله ـــــ في تفسيره لها[٨٣] : " والسواء العدل والنصفة قاله قتادة، وقال زهير:

أَرُونِي خُطَّةً لا ضَيْمَ فيها يُسَوّي بيننا فيها السَّواءُ

ومعلوم أن النصارى واليهود قد أشركوا بالله سبحانه واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله يشرعون لهم، يحللون ويحرمون بمنطوق الآية الكريمة ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١، ٣٢] وأنَّهم كفار بنص القرآن الكريم ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾ ... [المائدة:٧٣]، ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾... [المائدة:١٧]، ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ ... [البينة:١]. ولقد بين الإسلام كيف تكون دعوتهم للإسلام، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم

---

[83] تفسير القرطبي (٤ / ١٥٠).

موصياً أمير الجيش الذي يرسله للقتال: "... وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ،ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين "... إلى أن يقول :" فإن هم أبوْا فاستعن بالله وقاتلهم "[٨٤]. ويقول صلوات الله وسلامه عليه في كتابه إلى هرقل ملك الروم: " أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم الأريسيين..." [٨٥].وهذا ما سارعليه الصحابة رضوان الله عليهم في تطبيق الإسلام وحمله إلى العالم، على النحو الذي بينه الرسول صلى الله عليه وسلم ،فتقام الحجة عليهم بدعوتهم للإسلام فإن أبوْا كانت الجزية ،وإلاَّ فقتالهم في سبيل الله .

- **التلطف بالخصم المعاند حتى يقبل الحق ولا يلج بالعناد. ورده إلى الصواب بالطريق الذي يعرفه وترك ما يستنكره .**

المطلوب هو إيصال الحق إلى المخالف بأيسر الطرق وأقربها إلى تحقيق المقصود ، وفيما جرى بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش في صلح الحديبية إشارة إلى هذا المعنى ، فإنه لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب أن يكتب ((بسم الله الرحمن الرحيم)) قالوا : ما نعرف (بسم الله الرحمن الرحيم) ولكن اكتب ما نعرف : باسمك اللهم ، فقال: (اكتب من محمد رسول الله) ، قالوا : لو علمنا أنك رسول الله لاتبعناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك [٨٦].

---

[84] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد (٤/ ٢).

[85] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدئ الوحي ، (١ / ٥).

[86] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشروط ، (٣ / ١٧٢) .

قال الشاطبي ـــ مُعلقاً على الحديث ومستنبطاً منه ـــــ : " فعذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان هذا من حمية الجاهلية ، وكتب على ما قالوا ، ولم يجتشم[87] من ذلك حين أظهروا النصفة من عدم العلم ، وأنهم أنما يعرفون كذا " [88].

وقد وضع القرآن الكريم أرقى أساليب الحوار وأعدلها مع الخصوم وأنصفها لهم ؛ فعلم أتباعه كيف يكون حوار المخالفين وأمرهم باختيار الأسلوب الحسن والأحسن.. فقال تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ {البقرة: ٨٣} وقال تعالى:﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾{النحل ١٢٥} وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ {العنكبوت: ٤٦}. فنلاحظ في هذه الآيات وأمثالها أن الحوار ينبغي أن يكون باختيار الأسلوب الأحسن واحترام المخالف وذكر نقاط الاتفاق،(وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ). وتأتي قمة الإنصاف والتلطف بالمخالف في قوله تعالى:﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ {سبأ:٢٥}.

قال أهل التفسير: هذا أسلوب التشكيك وحكمته التلطف بالخصم المعاند حتى لا يلجَّ في العناد ولا يفكر في الأمر الذي يجادل فيه، وإلاّ فالرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون هم الذين على هدىً، والمشركون هم الذين في ضلال مبين وهو أمر مسلم لدى طرفي النزاع. وقوله تعالى: (قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ

---

87 الجشم والتجشم : التكلف يقال : جشم الأمر وتجشمه : تكلفه على مشقة . انظر:لسان العرب (١٠٠/١٢).ومختار الصحاح(٩٢).

88 أبي إسحاق الشاطبي . إبراهيم بن موسى ، ٧٩٠ه ، **الموافقات** ، دار ابن عفان ، السعودية ، ط١ ، ١٤١٧ه : (٥ / ٤١٦ ـــــ ٤١٧).

أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وهذا أيضاً من باب التلطف مع الخصم المعاند لتهدأ عاصفة عناده ويراجع نفسه ،علّه يثوب إلى رشده ويعود إلى صوابه. وهو غاية في الإنصاف واحترام الخصم حيث لم ينسب له الإجرام الذي نسبه لنفسه.

يقول سيد قطب رحمه الله في ظلاله: "والجدل على هذا النحو المهذب الموحي أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين بالجاه والمقام، المستكبرين على الإذعان والاستسلام، وأجدر بأن يثير التدبر الهادئ والاقتناع العميق. وهو نموذج من أدب الجدل ينبغي تدبره من الدعاة.." [89].

ومن هذا الباب جاء أمر الله لموسى وهارون ـــــ عليهما السلام ـــــ بأن يستخدما اللين من القول في خطاب فرعون في قوله تعالى لهما :﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ (طه : ٤٤). لأن ذلك أدعى إلى تذكره وخشيته وهذه هي طبيعة النفس البشرية تنجذب إلى القول اللين ، ويسهل قيادها إلى الحق بذلك ، أما مع الجفاء والغلظة والشدة في العبارة فلا يجني إلا النفرة والفتور، وإيغار الصدور والصدود عن سماع الحق أو الإذعان له .

وينبغي على الداعي إلى الحق أن تكون أولى مقاصده من الحوار وأسمى غاياته هداية المخالف إلى الحق وتأليف قلبه لاتنفيره ، ورحمته والإحسان إليه. ومن لم يكن هذا قصده لم يكن عمله صالحا ، وإذا احتاج إلى التغليظ في ذم بدعة ومعصية كان قصده بيان ما فيها من الفساد ، ليحذر الناس من الوقوع فيها كما في نصوص الوعيد وغيرها ، وقد يهجر الرجل عقوبة وتعزيرا والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله، للرحمة والإحسان ،لا للتشفي والانتقام [90]. كما إن دعوة المخالف إلى الحق ينبغي أن تكون أولا ببيان

---

[89] سيد قطب ، **في ظلال القرآن**، دار الشروق ، بيروت، ط٦ (٥ / ٢٩٠٥) .

[90] انظر : منهاج السنة (٥/٢٣٩ـــ ٢٤٠) .

الحق له بالأدلة من الكتاب والسنة وأن ذلك هو منهج أهل السنة والجماعة ،قبل التعرض إلى بيان ماعليه من الباطل والبدعة ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾[الأنعام :١٠٨] يقول الشيخ ابن عثيمين ـــ رحمه الله ـــ في معرض استدلاله بهذه الآية : " وهكذا أيضاً صاحب البدعة من المسلمين لا نهاجمه ببيان بدعته وذمها ، ولكن نبين له السنة أولاً ، ثم إذا استقرت السنة في نفسه سهل علينا أن نبين معايب بدعته " [٩١]

وإذا كان التشدد في الإنكار ، والتغليظ في العبارة ، وتجهيل الخصم مما قد يحتاج إليه المحاور ـــــ أحياناً ـــــ فهذا لا ينبغي أن يكون من ثوابت الحوار وأصوله ، بل من حاجياته وتوابعه ، لأن المقصود الأول من الرد هو بيان نوع الخطأ ومقدماته ولوازمه،وطريقة دفعه ، والتحذير من الدعاة إليه ، والخروج من المعهود العلمي للعبارات إنما يكون مع وجود المصلحة الراجحة، وإلا فإذا أدّى هذا التغليظ في العبارة إلى أن يتمادى المخالف في خطئه ، أو أن ينتصر لباطله ، أو يغتر العامة بالمخالف بسبب ما وقع عليه من شديد الكلام وغليظ العبارة، فهذا ونحوه يمنع استعمال هذا الأسلوب مع المخالف.

ثم إن الغلو في الإنكار، والمبالغة في الزجر قد تؤول إلى إثارة الأحقاد ، وحدوث العداوة والبغضاء ، والانتصار للمذاهب والآراء ، فيضيع الحق بين تعصب المحاورين وعناد المخالفين .[٩٢]

---

[91] محمد بن يوسف العلي ، **إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم** ، دار الأندلس الخضراء ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ، (ص٣٦٣).

[92] أنظر : فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية (٩٥) .

قال الشاطبي _ رحمه الله _ : " إن الطعن والتقبيح في مساق الرد أو الترجيح ربما أدى إلى التغالي والانحراف في المذاهب، زائداً إلى ما تقدم ، فيكون ذلك سبب إثارة الأحقاد الناشئة عن التقبيح الصادر بين المختلفين في معارض الترجيح والمحاجة " .

وأكد الغزالي على هذا المعنى فقال : " أكثر الجهالة إنما رسخت في قلوب أهل العلوم بتعصب جماعة من جهال أهل الحق ،اظهروا الحق في معرض التحدي والإدلاء ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء ، فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة ، ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة ، وتعذر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها ، حتى انتهى التعصب بطائفة إلى أن اعتقدوا أن الحروف التي نطقوا بها في الحال بعد السكوت عنها طول العمر قديمة ، ولولا استيلاء الشيطان بواسطة العناد و التعصب للأهواء ، لما وجد مثل هذا الاعتقاد مستقرا في قلب مجنون فضلا عن قلب عاقل . " [٩٣]

- **رد شبه أهل الباطل ومغالطاتهم وتزويرهم للحق و بيان تناقض مذاهبهم وأقوالهم .**

من الأمور المتفق عليها عند عموم العقلاء من الخلق : أن الحق الواضح البين لا يرده أو يشكك فيه إلا المكابرون المعاندون من البشر ، ومن علامات هذا الحق أنه ثابت لا يتناقض أو يتبدل باختلاف الأمكنة أو تعاقب الأزمنة ، ولذا قال تعالى في وصف كتابه الكريم :﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء : ٨٢] وقال تعالى:﴿

[93] الموافقات (٥/٢٨٨ــــــ٢٨٩٩).

سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ (فصلت : ٥٣).

وهذه العلامة المهمة الدالة على معرفة الحق وتمييزه عن الباطل ينبغي على المحاور المسلم أن يركز عليها ، فيبدأ بعد تقرير الحق بتقرير ما تضمنه كلام المخالف له من المقدمات الفاسدة ،والتناقض في الأجوبة تناقضاً دالاً على فساد مقالته و اضطرابه في العلم . وأن يُبين رجحان مذهب غيره عليه أو فساد مذهبه بتلك المقدمات وغيرها ، فإن المخالف إذا رأى تناقض قوله أو رجحان قول غيره على قوله اشتاق حينئذ إلى معرفة الصواب وبيان الخطأ ، فيبين له فساد تلك المقدمات التي بنى عليها وصحة نقيضها ، ومن أي وجه وقع الغلط.

فمثلا في مناظرة الدهري أو اليهودي أو النصراني أو الرافضي أو غيرهم ،إذا سلك معهم المحاور هذا الطريق نفع في موارد النزاع فيتبين لهم الحق من الباطل ، وما من طائفة إلا ومعها حق وباطل ، فإذا خوطبت بيّن لها أن الحق الذي ندعوكم إليه هو أولى بالقبول من الحق الذي وافقناكم عليه ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم أولى بالقبول من نبوة موسى وعيسى عليهما السلام "[٩٤]

ثم في بعض الحوارات يتعين على المحاور أن يبدأ بدفع المخالف ، وبيان فساد قوله وتناقضه قبل الشروع في بيان الحق ودعوته إليه ، فها هنا مقامان :

١ـــ مقام دفع شر المخالف و الرد عليه .

٢ـــ مقام بيان الحق للمخالف ودعوته إليه .

---

[94] منهاج السنة (٢ /٣٤٤ ـــ ٣٤٥) .

والمحاور البصير يتخيّر بين المقامين وينزل حواره في المنزلتين بحسب المقام ومراعاة المصالح وقاعدة الأولويات[٩٥] .

كذلك فإن على المحاور من أهل الحق في نقضه لشبهة المخالفين للحق أن يبدأ بنقض الشبهة القوية قبل الشبهة الضعيفة، وهذا أساس مهم ينبغي على المحاور أن لا يهمله في رده على شبهات الكفار والمشركين ، فيشرع في إبطال الأقوى من الأدلة والشبه قبل الضعيف منها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ : " فإن جاز القدح فيما دليله أعظم وشبهته أبعد عن الحق فالقدح فيما دونه أولى ، وإن كان القدح في المسيح باطلاً فالقدح في محمد أولى بالبطلان ، فإنه إذا بطلت الشبهة القوية فالضعيفة أولى بالبطلان ، وإذا ثبتت الحجة التي غيرها أقوى منها فالقوية أولى بالثبات .

ولهذا كانت مناظرة كثير من المسلمين للنصارى من هذا الباب ، كالحكاية المعروفة عن القاضي أبي بكر ابن الطيب ،[٩٦] لما أرسله المسلمون إلى ملك النصارى بالقسطنطينية ، فإنهم عظموه وعرف النصارى قدره ، فخافوا أن لا يسجد للملك إذا دخل ، فأدخلوه من باب صغير ليدخل منحنياً ،ففطن لمكرهم فدخل مستدبراً متلقياً لهم بعجزه ، ففعل نقيض ما قصدوه .

ولما جلس وكلموه أراد بعضهم القدح في المسلمين ، فقال له : ما قيل في عائشة امرأة نبيكم ؟ يريد إظهار قول الإفك الذي يقوله من يقوله من الرافضة أيضاً ، فقال القاضي : اثنتان قُدح فيهما ورميتا بالزنا إفكاً وكذباً : مريم وعائشة ، فأما مريم فجاءت بالولد تحمله من غير زوج ، وأما عائشة فلم تأت بولد مع أنه كان لها زوج ، فأبهت النصارى .

---

[95] انظر : فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية : (١٥٣ ـ ١٥٤) .

[96] قصة الباقلاني مع ملك الروم ومناقشاته مع النصارى مذكورة في " تبيين كذب المفتري " لابن عساكر (٢١٨ ـــ ٢١٩) ، وانظر هامش منهاج السنة ، (٢ / ٥٧).

وكان مضمون كلامه أن ظهور براءة عائشة أعظم من ظهور براءة مريم ، وأن الشبهة إلى مريم أقرب منها إلى عائشة ، فإذا كان مع هذا قد ثبت كذب القادحين في مريم ، فثبوت كذب القادحين في عائشة أولى "[٩٧] .

- **تمييز الحق من الباطل في المقالات والاعتقادات والأعمال من غير مداهنة أو مجاملة .**

الحوار المؤسس على أسس شرعية يكون سبيلاً لتمييز الحق من الباطل وإزالة كل مايكون سببا في اللبس بينهما، و ذلك مقصد شرعي عظيم أكد عليه القرآن في غير ما آية قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (آل عمران : ٧١) وقال تعالى : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ (المائدة :١٥ ــــــــ ١٦) فمن خلال المناظرة والحوار مع المخالف يحصل عرض الأقوال وأدلتها، ويدلي كل طرف بحجته ، ويحصل بسبب ذالك المعارضة بين الأقوال، وترجيح الأقوى حجة وإسقاط الضعيف منها[٩٨].

قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ : " فالمحاجة والمجادلة إنما فائدتها طلب الرجوع والانتقال من الباطل إلى الحق، ومن الجهل إلى العلم، ومن العمى إلى الإبصار " [٩٩]. أذا فالمقصد الأسمى والأهم للحوار هو تمييز الحق من الباطل

---

[97] منهاج السنة ، (٢ /٥٦ ــ ٥٧) .

[98] حمد العثمان ،**أصول الجدل والمناظرة** ، مكتبة ابن القيم ، الكويت ، ط ، ١٤٢٢ه (١٧٢).

[99] ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله ،٧٥١ه ، **بدائع التفسير**:(١/ ١٥٢). دار ابن جوزي الرياض .

في العقائد والعوائد والمذاهب ، بوضوح وصراحة وصدق وعدل ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة .

وأما المداهنة في دين الله فلا تجوز، فلقد طمع المشركون من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يلين لهم وأن يسايرهم على باطلهم ومعتقداتهم، فيجاملونه هم أيضاً بمداهنة مثلها، ويظهرون له التسامح والرفق والملاطفة في معتقده، فنهاه الله –سبحانه– أن يوافقهم ويقبل منهم ذلك، وقال له في خطاب صارم قاطع:﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (القلم: ٧ــــ٩) .

يقول الإمام الطبري مبيناً ما في هذه الآية من تحذير من المداهنة في الدين: " ود هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلينون لك في عبادتك إلهك "[100].

وقد أمر الله المؤمنين بالصدع بالحق وعدم كتمانه، فقال آمراً نبيه وهو في مكة:﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (الحجر: ٩٤) . وقال تعالى منبهاً ومحذراً المؤمنين من الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (آل عمران: ١٨٧) والمداهنة ليست من شأن المسلم ولا من سمته. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[المائدة: ٤٩] ولما جاء وفد نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم أسمعهم معتقده في المسيح عليه السلام، ولم يبال عليه الصلاة والسلام بغضبهم من ذلك، فقالوا: مالك تشتم صاحبنا؟ قال: (وما أقول؟) قالوا: تقول: إنه عبد. قال: (أجل. إنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول)،

---

[100] تفسير الطبري . (٢٩ / ٢١).

فغضبوا، وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب، فإن كنت صادقاً فأرنا مثله. فنزلت الآية: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ (آل عمران: ٥٩) [١٠١].

ولا يخفى أن المداراة أو الرفق في التعامل والحوار من آداب الإسلام في معاملة المخالفين، وأما المداهنة فهي محرمة لأنها لا تكون إلا مع بذل الدين .قال القاضي عياض رحمه الله: " المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معا، وهي مباحة، وربما استحبت، والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا " [١٠٢]. ومما يدل على جواز الرفق والمداراة فعله عليه الصلاة والسلام ببسط الوجه وحسن اللقاء، مع أساطين الكفر وصناديد الشرك.فكراهية غير المسلم لكفره لا تمنع مجاملته في الخطاب الذي لا ينقص من قدر الدين، دفعا لأذاه أو وصولا إلى نفع للمسلمين منه، ففي الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: " ائذنوا له، فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة " ، فلما دخل ألان له الكلام، فقلت له: يا رسول الله قلت ما قلت ثم ألنت له في القول، فقال: " أي عائشة، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه " [١٠٣] وأخرج البخاري أيضاً عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: " إنا لَنَكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم "[١٠٤] . . قال ابن بطال في شرح هذا الحديث: " المداراة من أخلاق المؤمنين وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك

---

[101] رواه الطبري في تفسيره : (٣ / ٢٩٦).

[102] فتح الباري (١٠/ ٤٥٤) .

[103] أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب الآداب . باب المداراة مع الناس (١٠ / ٥٤٤).

[104] انظر : المصدر السابق الجزء والصفحة نفسها . " والكشر: ظهور الأسنان وأكثر ما يطلق عند الضحك " فتح الباري (١٠ / ٥٤٥).

الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة، فغلط، لأن المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه ، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه " [١٠٥] . لكن المجاملة والمراءاة غير المنضبطة بضوابط الشرع قد تؤدي ببعض المتحاورين أحياناً إلى شيء من المداهنة والابتذال، والخضوع للمبطلين ، وكتمان الحق، والسكوت عن الباطل، وقد تدفع بالبعض إلى موادة محاوريهم من الكفار واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، وموالاتهم وموافقتهم في مواقفهم وآرائهم ومعتقداتهم، مما يوقع المحاور المسلم في سخط الله وغضبه. ولهذا ينبغي للمحاور المسلم الحذر، وأن يعرف الحد الفاصل بين المداهنة المحرمة ،وبين الرفق والمداراة والمجاملة الجائزة . ومن هذا المنطلق فإنه يجب على المحاور المسلم أن يفرق بين الحوار مع أتباع الأديان والمذاهب المختلفة على أسس شرعية ، وبين ما يروج له بعض مفكري الغرب من أصحاب التوجهات والمخططات المشبوهة ،ومن جاراهم من بعض المنتسبين للإسلام من فكرة التقريب بين الأديان ، والدعوة إلى توحيدها في دين واحد ، التي هي فكرة ماكرة و مبدأ باطني وماسوني، يهدف إلى هدم منهج الإسلام في الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، وأنه هو الدين الحق الذي يجب على جميع الخلق إتباعه .واستبداله بمنهج تلفيقي يدعو إلى تذويب الحواجز بين الكفر والإيمان ، وتمييع الحدود الفاصلة بين ما هو حق وما هو باطل والقضاء على

---

105 فتح الباري (١٠/ ٥٢٨) .

الخصوصيات ، و التعامل مع الطرف المخالف للحق على أساس أنه مؤمن ، لا على أساس أنه كافر يجب التعامل معه وفق ما تقضي به أحكام الشريعة في معاملة غير المسلم [١٠٦].

- **دعوة المعرضين عن الحق للنظر والتفكر في الأسباب والطرق الموصلة إليه .**

يقول تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (سبأ : ٢٤ــ ٢٥).

في قوله تعالى: { وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ } فوائد عظيمة في باب الحوار مع المخالفين ومقاصده ، ومنها ما نحن بصدده في هذا المقصد:

وهو أن من مصلحة أهل الباطل أن يُجزأ الحق، أو تُميع حقيقته أو يتم التمويه عليه فيقولوا: لعل عندك بعض الحق وعندنا بعضه، أو لا يمكن الجزم بالحق المطلق لأن كل طرف يدعيه، وهذا التشكيك في "وجود الحق" انتصار كبير لأهل الباطل، ولقد قال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾ (النجم : ٢٨) ، فالتأكيد على حتمية "وجود الحق" إفشال لمسالك الظن والريب عند أهل الباطل ، وتأكيد على معنى المفاصلة بينهما إذ لا يصح وضع الإسلام والكفر معا في إطار واحد فإما هدى وإما ضلال، يقول القرطبي ــ رحمه الله ــ : " هذا من باب اللف والنشر، أي: واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لا

106 دعوة التقريب بين الأديان . (١ / ٣٣٣).

سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله؛ ولهذا قال: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ: ٢٤)

قال قتادة: " قد قال ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين: والله ما نحن وإياكم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتد" [١٠٧] . ولكن هذه المفاصلة مذكورة في جو من الملاطفة والإقناع دون غلظة أو تعدي للتأكيد على أن "الاهتداء إلى الحق" هو الغاية والمقصد عند أهل الحق. وهو ما يحرص أهل الباطل على التشكيك فيه لإظهار أهل الحق أنهم مريدي سلطة أو باحثين عن مطمع من مطامع الدنيا، وهو ما يتناسب مع أهوائهم التي تعودوا عليها، ووضوح هذه الغاية من أعظم وسائل الدلالة على الحق والدعوة إليه ، إذ إن من مقاصد المناظرة الأساسية هداية الطرف المقابل وليس مجرد الغلبة أو العلو عليه ، وهذه علة الملاطفة للبعد عما يسبب الغضب والمكابرة وإغلاق منافذ التقبل.

يقول سيد قطب ــ رحمه الله ــ : " وهذه غاية النصفة والاعتدال والأدب في الجدال . أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشركين:إن أحدنا لا بد أن يكون على هدى، والآخر لا بد أن يكون على ضلال. ثم يدع تحديد المهتدي منهما والضال. ليثير التدبر والتفكر في هدوء لا تغشى عليه العزة بالإثم، والرغبة في الجدال والمحال! فإنما هو هاد ومعلم ، يبتغي هداهم وإرشادهم لا إذلالهم وإفحامهم ، لمجرد الإذلال والإفحام" [١٠٨] .

---

107 **تفسير الطبري** (١٠ / ٣٧٥ ـ ٣٧٦) .

108 سيد قطب ، **في ظلال القرآن** . دار الشروق . (٥ / ٢٩٠٥) .

ويقول ابن عاشور: " وهذا اللون من الكلام يسمى الكلام المنصف وهو أن لا يترك المجادل لخصمه موجب تغيظ واحتداد في الجدال ، ويسمى في علم المناظرة إرخاء العنان للمناظر ، ومع ذلك فقرينة إلزامهم الحجة قرينة واضحة" [109] .

ومن الفوائد أن الالتزام بالمبادئ والأخلاق لا يتجزأ ، فلا يصح أن نصل إلى الحق بأسلوب من أساليب الباطل وإن ظننا أنه أسهل ، ومن الفوائد وجوب التزام العدل مع الغير والإنصاف من النفس والاستدلال على الحق بالحق ، ورد الأمر كله إلى الله والتأدب معه سبحانه، ونسبة الجرم إن حدث ، إلى أنفسنا صيانةً للمنهج.

- **كف عدوان المعاندين والمبطلين والتخفيف من شرهم وأذاهم** [110] .

الحوار مع المخالفين للحق تارة يكون بغرض دعوتهم إلى الحق وترغيبهم فيه وإقناعهم به، وتارة يكون لقصد كف عدوانهم والتخفيف من شرهم وأذاهم للمسلمين ، فيستعمل مع أمثال هؤلاء الحوار الجدلي الذي يفحمهم ويقطع شرهم بالحسنى مع المحسن منهم ،وبالغلظة والشدة لمن لا يفيد معه إلا ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله _ : " فمن كان عالماً بالحق ، فمناظرته المحمودة أن يبين لغيره الحجة التي تهديه إن كان مسترشداً طالباً للحق إذا تبين له ، أو يقطعه ويكف عدوانه إن كان معانداً غير متبع للحق إذا تبين له ، ويوقفه ويُسلكه ويبعث على النظر على أدلة الحق إن كان يظن أنه حق وقصده الحق " [111].

---

[109] ابن عاشور . محمد الطاهر ، **التحرير والتنوير** . الدار التونسية . (٢٢/ ١٩٢) .

[110] انظر : أصول الجدل والمناظرة ، (١٧٧)

[111] درء تعارض العقل والنقل ، (٨ /١٦٧) .

- **جمع الكلمة وتقريب وجهات النظر بين المختلفين والتعاون لما فيه خير الناس جميعا .**

كما بينت فيما سبق أن مقاصد الحوار مع المخالفين للحق متنوعة في مذهب أهل الحق وفق المواقف والمقالات والأشخاص ،فإن منها ما هو لرد الباطل وكشف الشبه، ومنها ما هو لبيان الحق والدعوة إليه والتعاون على ما فيه خير الناس وتحصيل مصالحهم الدينية والدنيوية ، ومن هذه المقاصد مقصد جمع الكلمة وتقريب وجهات النظر بين المختلفين فإنه مقصد عظيم من مقاصد الحوار، ذلك أنه يقوي الروابط و ينمي التعاون بين أفراد الأمة ويقلل من نقاط الاختلاف بينهم، ولاسيما إذا لم يبق لهم في التعامل مع مخالفيهم إلا الحوار والجدل وحرصوا من خلالهما على الوصول للحق بأقرب طريق .

قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ : " فمن هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان ومع من كان ولو كان مع من يبغضه ويعاديه،ورد الباطل مع من كان ولو كان مع من يحبه ويواليه،فهو ممن هدي لما اختلف فيه من الحق.فهذا أعلم الناس وأهداهم سبيلاً وأقومهم قيلا.

وأهل هذا المسلك إذا اختلفوا فاختلافهم اختلاف رحمة وهدى،يقر بعضهم بعضا عليه ويواليه ويناصره ، وهو داخل في باب التعاون والتناظر الذي لا يستغني عنه الناس في أمور دينهم ودنياهم بالتناظر والتشاور، وإعمالهم الرأي، وإجالتهم الفكر في الأسباب الموصلة إلى درك الصواب " [112] .

إن الناظر في حال الناس ــــــــ اليوم ــــــــ يجد أنهم يعيشون في عالم متسارع ومتداخل ، تتداخل فيه المصالح الدينية والدنيوية ، وغيرها من المناشط البشرية. ولم يعد بوسع أهل دين أو ثقافة أن ينفردوا بأنفسهم أو أن ينعزلوا عن غيرهم . وإن محاولات فرض العولمة أو إملاء النموذج الغربي

[112] الصواعق المرسلة، (٥١٧/٢)

أو الشرقي ،أو تبني الأحكام المسبقة والصور المشوهة عن المخالف لهم التي ينتهجها ساسة الغرب والشرق ومفكروها أضحت بارزة مكشوفة ، ولذلك فإنها تحتاج إلى مواقف قوية وصريحة من خلال الحوار الهادف المؤصل . حوار يصحح الصورة والتصور للمخالف وعن المخالف ، ويفتح الميدان واسعاً للتعاون بين الجميع بالمعروف والعدل ، ومقاومة الفساد والإثم والعدوان والمنكر والظلم والطغيان من جميع الأطراف ، وإبراز الجوامع المشتركة وقيم الاعتدال ، وسنة الله في الاختلاف والتعدد ، وتعميق المصالح المشتركة بين الناس التي بينها الله في كتابه وعلى ألسنة رسله على حد قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾(الحجرات: ١٣). ولا شك أن الحوار مع المخالفين لتحقيق هذه المقاصد من أسس الحياة البشرية وأحد وسائل الرسالات السماوية . ومن نهج أنبياء الله – عليهم السلام – فقوم نوح : ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾ (هود : ٣٢)، وفي إبراهيم قال تعالى :﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾ (الأنعام :٨٠) وقوله سبحانه : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾ الآية (البقرة : ٢٥٨) ، ويوسف قال للسجينين :﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ (يوسف : ٣٩) ، ونبينا محمد – صلى الله عليه وسلم قال له سبحانه في شأن أهل الكتاب : ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (النحل : ١٢٥) .كل ما سبق يدل على أن اختلاف الناس هو المدخل للتعارف والتواصل والتعاون بينهم ، بل التسابق والتنافس إلى التعاون وعمارة الأرض والقيام بمهمة الاستخلاف . لقد خلق الله البشر مختلفين – شعوبا وقبائل – ليتعارفوا ويتعاونوا .. لا ليتصارعوا ويتدابروا .. لقد جاء رسل الله جميعا – عليهم الصلاة والسلام – لهداية الناس وإصلاحهم وإسعادهم ودلالتهم على

وجوه الخير وسبل التقوى وعبادة الله – سبحانه – والتعاون والعدل في علاقات الناس :﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (الحديد :٢٥). والحوار مع المخالفين ليس دعوة مجردة للتفاهم فقط، بل هو حوار محدودة أركانه وأسسه فيه تأصيل وتنمية لمقاصد الخير والتعاون ، ونفي لما قد يشوبه أو يرد عليه من الخواطر السيئة ،والنوايا الخفية التي تفرغ الحوار من مضمونه وأصوله المتمثلة في الصدق والوضوح والإخلاص والتجرد. كما إن الدعوة إلى الحوار مع المخالفين فيها سعي يتوخى معرفة الطرف المخالف الصادق في طلب الحق ، فيتفهم نقاط الاختلاف والمغايرة معه ومدى القرب والبعد مع يعتقده ويذهب إليه ، ومن ثم يكون التعاون قائما على الوضوح والصدق معتمدا المقاصد الحسنة والقيم المستمدة من رسالات المرسلين والفطرة التي فطر الله الناس عليها قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (الشورى : ١٣). إن الحوار مع المخالف الطالب للحق لابد أن يتم فيه عرض الأفكار والحقائق والمعلومات بأمانة وتجرد ؛ في جو من الاحترام والمعاملة بالحسنى والجدال بالتي هي أحسن .بعيدا عن نوازع التشكيك ومقاصد التجريح ، بل مع القصد إلى إشاعة روح التفاهم والوئام فيما يقع فيه التوافق من ميادين النفع العام ومجالاته للناس جميعا . وأن ينطلق من استعداد كل طرف لفهم الطرف الآخر ، ويتجنب إصدار الأحكام المسبقة . مع الاتفاق والاستعداد لتحري الحق وقبوله أيا كان قائله .

الخاتـــــمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين ،نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

فيمكن تلخيص أبرز ما ورد في هذا البحث في النقاط الآتية :

• الحوار مع المخالفين للحق على اختلاف مللهم ومذاهبهم هو فريضة جهادية تمليها الظروف التي تحتم الوقوف في وجوه المبطلين ورد عاديات المضللين ، كما إنه وسيلة إقناعية برهانية فيه رفق ولين وترغيب ، وفيه إقناع واستدلال وبراهين ، وفيه إرغام وإفحام وقطع للمتعنتين المبطلين .

• تتأكد أهمية حوار المخالفين لأهل الحق في العقيدة في هذا الوقت الذي كثر فيه الزيغ والانحراف عن منهج أهل الحق ومعتقدهم ، وتنوعت فيه مطاعنهم وشكوكهم .

• لابد للمحاور المسلم أن يكون على علم بأصول الحوار مع المخالفين وفهم وإدراك لمقاصده. وأن يكون لذلك العلم والفهم أثره في إقدامه على الحوار أو إحجامه عنه .

• المحاور المنتمي لمذهب الحق الذي يتصدى لمحاورة المخالفين من المنتسبين للإسلام أو غيرهم من غير المسلمين، لابد أن تكون لديه الأهلية العلمية و الأخلاقية التي يتمكن بها من نصره الحق وإظهاره ورد الباطل وقطع دابره .

• يؤكد الباحث على ما سبق أن أكد عليه علماء السلف من أنه لا ينبغي بأي حال أن يتقدم لمناظرة أهل الزيغ والباطل من لا علم عنده ولا قدرة له على رد باطلهم بطريقة تقطع دابره وتهدم بنيانه من القواعد ، ويحذر من الوقوع فيما وقع فيه بعض المتعجلين وقليلي البضاعة في العلم من المنتسبين للحق

الذين كانت لهم في هذا الجانب مواقف أضعفت الحق وجرأت أهل الباطل تماما كما كان من أهل الكلام المبتدع في مناظراتهم لخصومهم من الفلاسفة التي كانت مجادلاتهم للفلاسفة إنما تمكن لباطل الفلاسفة وتقويه . فقد كان هؤلاء الجهال يبسطون القول في الشبهة ثم يردون عليها ردا ضعيفا مختصرا لا يقوى على رد الشبهة وإنما يمكن لها في القلوب ويقويها!! .

• العدل والإنصاف هما ميزان القسط في تعامل أهل الحق مع مخالفيهم حتى وإن جاروا وظلموا، فإن من أعظم ما تميز به أهل السنة والجماعة أنهم أعلم الناس بالحق وأرحمهم بالخلق.

• القناعة بالحق واليقين بصحته والاعتزاز به وإظهار الحماسة له ، مبادئ راسخة لابد أن يتحلى بها المحاور المنتمي لأهل الحق . وهذا لا يتعارض بحال مع ما تؤكد عليه أصول أهل الحق في الحوار من ضرورة الحرص على هداية المخالف ،والتنزل معه في الخطاب، واللين في معاملته حتى يقبل على الحق ولا يلج في العناد والمكابرة .

• مقاصد الحوار مع المخالفين متعددة ولذلك فإن وسائل الحوار تتنوع في أشكالها وصورها تبعاً لهذا التعدد في المقاصد ، ولا شك أن الوسائل لها أحكام المقاصد وأن الأمور بمقاصدها. والمقاصد المشروعة لابد أن تكون وسائلها مشروعة ، وإلا لكان ما تفسده أكثر مما تصلحه .

• من أعظم مقاصد الحوار حفظ دين الأمة وعقيدتها من التحريف والتبديل، ورد عاديات المنحرفين والمبطلين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم

• الدعوات إلى الحوار المتمثلة فيما يسمى :(حوار الأديان ، أو حوار الحضارات أو التقارب بين المذاهب ، أو وحدة الأديان ..) وغيرها من الشعارات البراقة ، أصبح يشوبها الكثير من الغبش بل إنها في كثير من الأحيان أصبحت شعارات مضللة، تخفي تحتها الكثير من المؤامرات و الأهداف المشبوهة التي يروج لها بعض المخادعين ،من أصحاب المذاهب

الضالة المنتسبة للإسلام، أو أمثالهم من مفكري الغرب والمخدوعين بهم من المستغربين من مفكري المسلمين ، ولذلك فإن على المحاور المسلم أن يكون على حذر من هذه الدعوات ومن يقف خلفها ،حتى لا يقع فيما وقع فيه الكثير من المفكرين والمنظرين المنتسبين للإسلام .من موافقة لأهل الباطل ، إما لجهله وسذاجته ،وإما لمجاملته ومداهنته لهم على حساب دينه ومبادئه .

قائمة بأسماء المراجع

١. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة ، ، دار العاصمة ، الرياض ، ١٤١٨هـ .
٢. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ،إغاثة اللهفات : ، دار المعرفة ، بيروت .
٣. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ،زاد المعاد _ مؤسسة الرسالة ، بيروت.
٤. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين : ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٥. ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، الرد على المنطقيين إدارة ترجمان السنة، باكستان .
٦. ابن تيمية ، احمد عبد الحليم ،الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، دار العاصمة ، الرياض.
٧. ابن تيمية ،أحمد عبد الحليم ،منهاج السنة ، دار أحد .الرياض .
٨. ابن تيمية ،أحمد عبد الحليم ،مجموع فتاوى ، جمع عبد الرحمن بن قاسم وولده محمد ، طبعة الملك فهد.
٩. ابن تيمية،أحمد عبد الحليم، بيان تلبيس الجهمية مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة .
١٠. ابن جماعة ،بدر الدين ،تذكر السامع والمتكلم ، دار الكتب العلمية .
١١. ابي حاتم ،محمد بن حبان روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .
١٢. ابن حجر ،محمد بن علي، فتح الباري : ، دار الريان . مصر.
١٣. ابن عبد البر ،جامع بيان العلم وفضله ، دار الكتب الإسلامية ، مصر ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ .
١٤. ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١٥. الإمام البخاري ،محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ، المكتبة الإسلامية - تركيا.
١٦. الإمام مسلم،مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ،المكتبة الإسلامية - تركيا.
١٧. الألباني ، محمد ناصر الدين ،إرواء الغليل . المكتب الإسلامي .
١٨. الآجري ،أبو بكر محمد، الشريعة ،دار الوطن _ الرياض .
١٩. الحاشري، فيصل ،فن الحوار : دار الإيمان ، مصر .
٢٠. الحسن ، يوسف ،الحوار الإسلامي المسيحي الفرص والتحديات، ، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م، منشورات
٢١. الخطيب البغدادي، أبو بكر ، الفقيه والمتفقه ، دار ابن الجوزي .
٢٢. الدويش ، أحمد ، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية، جمع وترتيب: (١ / ٨٠ـ ٨١)، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠
٢٣. السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ،القواعد الحسان لتفسير القرآن ، دار ابن الجوزي .

٢٤. السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ،تيسير القرآن الكريم الرحمن ،دار إحياء التراث العربي، الكويت.
٢٥. السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر،مجموع الفوائد واقتناص الأوابد ، دار ابن الجوزي ، السعودية .
٢٦. الشاطبي ،القاسم بن فيره، الموافقات .دار ابن عفان . السعودية .
٢٧. الشنقيطي،محمد المختار ،آداب الباحث والمناظرة : ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
٢٨. العثمان ، حمد ،أصول الجدل والمناظرة ، للدكتور . مكتبة ابن القيم ، الكويت .
٢٩. العثمان ، حمد ،أصول الجدل والمناظرة ،. مكتبة ابن القيم ، الكويت .
٣٠. العلي ، محمد بن يوسف ،إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم ، ، دار الأندلس الخضراء
٣١. العودة ، سلمان بن فهد ،أدب الحوار ،مكتبة الرشد .
٣٢. العيني ، بدرالدين محمد بن محمود ،عمدة القارئ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
٣٣. الفلسي ، مسعود بن موسى ،الجدل عند الأصوليين ، مكتبة الرشد
٣٤. القاضي ، أحمد بن عبد الرحمن ،دعوة التقريب بين الأديان ، دار ابن الجوزي.
٣٥. القرطبي ، محمد بن أحمد ،تفسير القرطبي . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٣٦. الموصلي ،فتحي ،فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية . الدار الأثرية
٣٧. المويل، محمد كمال، الحوار في القرآن الكريم ،دار الفارابي ، دمشق .
٣٨. النحوي ، عدنان ، حوار الأديان: دعوة أم تقارب أم تنازل، دار النحوي.
٣٩. النووي ، محيي الدين أبو زكريا ،شرح صحيح مسلم، دار الريان للتراث .
٤٠. بن حميد، صالح بن عبد الله ، أصول الحوار وآدابه في الإسلام ، دار المنارة ، مصر
٤١. بن عاشور،الطاهر ،التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ،تون
٤٢. جريشة ، علي ، آداب الحوار والمناظرة ، دار الوفاء ، مصر .
٤٣. إسماعيل علي محمد ،العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، ، دار الكلمة ، القاهرة.
٤٤. رضا، محمد رشيد ،الوحدة الإسلامية ، المكتب الإسلامي .
٤٥. كجك ، بسام داود ،الحوار الإسلامي المسيحي، ، دار قتيبة، دمشق
٤٦. في أصول الحوار،إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

٤٧. ونسنك ، ومجموعة مستشرقين ،المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، دار الدعوة . تركيا .
٤٨. الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، التعريفات . دار الفضيلة . القاهرة
٤٩. الألوسي ، محمود شكري ، تفسير روح المعاني، دار إحياء التراث العربي ،بيروت.
٥٠. القاسمي ، محمد جمال الدين ، محاسن التأويل ،دار إحياء الكتاب العربي (عيسى الحلبي) ، القاهرة .
٥١. رضا ، محمد رشيد ،تفسير المنار ، مطبعة المنار ، مصر.
٥٢. المناوي ،عبد الرؤوف ،فيض القدير ،دار المعرفة . بيروت .
٥٣. الرازي ، محمد بن أبي بكر ،مختار الصحاح، مكتبة لبنان .
٥٤. الإمام اللالكائي ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ،دار طيبة ، الكويت
٥٥. ابن تيمية ،احمد بن عبدالحليم ، درء تعارض العقل والنقل ، دار ابن تيمية.
٥٦. الحاكم ، أبي عبدالله، المستدرك على الصحيحين ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
٥٧. أبو داوود، سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داوود ،المكتبة الإسلامية ، تركيا.
٥٨. الألباني ، محمد بن ناصرالدين ،صحيح سنن أبي داوود ، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
٥٩. الخطيب البغدادي،احمد بن علي ، الفقيه والمتفقه ، دار ابن الجوزي ، الرياض.
٦٠. ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية ، تونس.
٦١. المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ، تركيا.
٦٢. ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ،بيروت.
٦٣. العقل ، ناصر بن عبدالكريم، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، دار الوطن ، الرياض.
٦٤. القفاري ، ناصر بن عبد الله ، مقدمة في الملل والنحل ، مدار الوطن ، الرياض.